بسم الله الرحمن الرحيم

الاتجاه الوجدانى فى شعر بدر بدير

دراسة موضوعية وفنية

دكتور
حسين على محمد
الأستاذ المشارك بكلية اللغة العربية بالرياض
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله وآله وصحبه، وبعد؛

فهذه دراسة عن واحد من الشعراء المعاصرين، الذين جمعوا في إنتاجهم الشعرى بين الأصالة والمعاصرة، وهو الشاعر بدربدير حسن (المولود فى ١٩٣٤/١٢/٢)، الذى كتب شعراً فى مختلف الاتجاهات والأغراض على امتداد قرابة خمس وأربعين سنة، ولم يظفر بدراسة جادة تضيء عالمه الشعرى، وتُنبّه الجمهرة القارئة إلى هذا الشاعر الذى أصدر ديوانين من الشاعر هما "لن يجف البحر" (١٩٩٣م)، و "ألوان من الحب" (١٩٩٩م)، يضمان نحو مائة قصيدة، وما تزال قيثارته صداحة بالشعر العربى الجميل.

وقد اخترنا أن ندرس "الاتجاه الوجدنى فى شعر بدربدير" لأنه أبرز اتجاهات شعره، وتكاد أشعاره جميعا تكون فى هذا الاتجاه، ما عدا قصائد قليلة تتناول الجانبين السياسى والاجتماعى، لا تشكل أكثر من عُشر قصائده المنشورة فى ديوانيه الأول والثانى.

وتقع هذه الدراسة فى مقدمة وتمهيد وخمسة مباحث وخاتمة:

فى المقدمة: أشرت إلى أهمية الموضوع، وخطته، والمنهج الذى سرت عليه.

وفى التمهيد وهو بعنوان "حياته وبواعث شاعريته": تناولت حياة الشاعر، وأهم المؤثرات فى شاعريته، وشخصية من الخارج والداخل.

وفى المبحث: تناولنا شعره فى الحب.

وفى المبحث الثانى: تناولنا شعره فى الطبيعة.

وفى المبحث الثالث: تناولنا شعره فى الحنين.

وفى المبحث الرابع: تناولنا شعره فى الرثاء.

وفى المبحث الخامس: تناولنا شعره فى الإخوانيات:

أ- التهانى.

ب- الرسائل الشعرية.

ج- المداعبات.

وفى ثنايا هذه المباحث تناولت التجربة الشعرية عنده، والألفاظ، والوضوح والغموض، والموسيقا... وبعض الجوانب الأخرى، ولم أفرد لهذه الجوانب الفنية فصلاً لاتصال المضمون بالفن فى الشعر الوجدانى، ولصعوبة الفصل بينهما.

وفى الخاتمة أجملت النتائج التى وصلت إليها فى هذه الدراسة.

نرجو الله أن ينفع بهذا البحث، "وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب".

وصلى الله وسلم على محمد.

د. حسين على محمد

الرياض فى ١٤ من جمادى الأولى ١٤٢٠هـ
٢٢ من أغسطس ١٩٩٩م

تمهيد

حياة الشاعر، وبواعث شاعريته

أولا: حياته:

أ- مولده وأسرته:

ولد الشاعر بدر بدير حسن حسين فى قرية "قرموط صهبره" من أعمال مركز ديرب نجم بمحافظة الشرقية بمصر عم ١٩٣٤، وهو ينتمى "إلى أسرة متوسطة"[١] يعمل ربها – والد الشاعر – بالزراعة، وإن أوتى حظا من التعليم.

وقد كانت الأسرة تمتلك عدة أفدنة قامت بزراعتها، فيسرت لها سبل الحياة.

وتعتز أسرة الشاعر بعروبتها، فهى تنحدر من أسرة عربية هاجرت منذ قرون من الجزيرة العربية، يقول الشاعر عن أسرته أنها، "تعتز بكونها عربية الأصل، فكلمة :البدوى" هى اللقب الذى التصق بهذه العائلة الكبيرة التى كانت أسرتى فرعاً منها، وهو لقب يشير فى المجتمع المصرى الزراعى الريفى إلى أن أصحابه قد وفدوا من الصحراء العربية فى وقت ليس بعيداً جدا، وقد رأيت الوالد والأعمام يعتزون بهذا اللقب فاعتززت به" [٢].

ب- تعليمه:

وقد تعلم بدر بدير فى مراحل التعليم المختلفة، حتى وصل على التوجيهية عام ١٩٥٤، ثم التحق بقسم اللغة العربية بكلية الآداب – جامعة القاهرة فى العام نفسه، وتخرج من الكلية سنة ١٩٥٨م.

(١) من حوار لم ينشر مع بدر بدير – أغسطس ١٩٩٨م.
(٢) السابق.

يقول عن دراسته فى هذا القسم:

"كان الهامش الذى يختار فيه الطالب نوع الدراسة التى يريدها فى ذلك الوقت هامشاً كبيراً، لكنى فضلت الدراسة فى هذا القسم الذى اعتقدت أن الدراسة فيه تشبع حاجة فى نفسى.

"كان ذلك فى سنة ١٩٥٤م، وأذكر أن الدفعة التى التحقت معى بهذا القسم كانت أكبر من سابقاتها، حيث زاد عدد الطلاب عن مائتى طالب، برز بعضهم فى مجالات الأدب والصحافة، وكان الأب الروحى للدفعة هو الأستاذ العظيم الدكتور شوقى ضيف، الذى كان حريصاً على مصلحة طلابه، مرتبطاً بهم" (١).

وقد أفاد الشاعر من دراسة اللغة العربية دراسة منهجية منظمة فى إثراء موهبته وتغذية ملكته؛ فقد يسرت له هذه الدراسة الاطلاع المنظم على الأدب العربى – شعراً ونثراً – خلال عصوره المختلفة، كما أطلعته على نزعات التجديد فيه، ومن خلال هذه الدراسة تعرف على فحول الشعر العربى على امتداد تاريخه.

ثم التحق بكلية التربية التى حصل منها عام ١٩٥٩م – فى العام التالى على تخرجه – على درجة الدبلوم فى التربية.

ج- وظائفه:

عمل الشاعر بدربدير بالتدريس منذ عام ١٩٥٩م حتى أحيل إلى التقاعد فى نهاية عام ١٩٩٤م، عند بلوغه الستين، وكان فى هذا الوقت قد وصل فى السلم الوظيفى إلى مدير إدارة تعليمية بمحافظة الشرقية.

---

(١) السابق.

تخلل فترة الوظيفة عدة أعوام من الستينيات عمل فيها أميناً لمنظمة الشباب بمدينة ديرب نجم – من أعمال محافظة الشرقية –، كما أعير فى الأعوام الأولى من عقد السبعينيات (١٩٧٠ – ١٩٧٤م) مدرساً بوزارة التربية والتعليم الليبية أربعة أعوام.

يقول عن وظائفه، وأثرها فى شعره.

"أديت الخدمة العسكرية الإجبارية من منتصف سنة ١٩٥٩م إلى نهاية ١٩٦٠م لمدة عام ونصف، ومن المؤكد أن هذه الفترة اكتسبت فيها من الحياة العسكرية صفات الانضباط الذى انعكس فيما بعد على حياتى الوظيفية، حيث دقة المواعيد، وكذلك احترام الرؤساء، واحترام النظم والقوانين، فصرت معلماً منضبطاً ورئيساً ملتزماً ودقيقاً.

اشتغلت معلماً بالمدارس الإعدادية فى بلاد النوبة القديمة قبل تهجير النوبيين ولمدة سنة، ثم معلماً بالمدارس الثانوية ودور المعلمات فى الصعيد والدلتا من سنة ١٩٦٢م إلى حوالى سنة ١٩٧٨م، وهى مدة تخللتها تقلات بين مدارس محافظة الشرقية بالدلتا، وتخللتها أيضاً فترة إعارة إلى ليبيا من سنة ١٩٧٠م إلى سنة ١٩٧٤م... كما تخللت هذه الفترة مدة تفرغ للعمل الوطنى السياسى من سنة ١٩٦٥م إلى سنة ١٩٧٠م كأمين شباب لمركز ديرب نجم الإدارى والذى يضم اثنين وأربعين بلداً أو قرية، وكانت هذه فترة الأحداث الكبرى، حيث كان الحلم العربى فى العدل والتنمية يتشكل على أرض الواقع وحلم شعوب العالم الثالث فى الاستقلال والاحتذاء بمصر، ثم هزيمة هذ الحلم بنكسة سنة ١٩٦٧م التى مزقت وحطمت قلوب ملايين الشباب الذين فقدوا الثقة بكل شيء والأمل فى أي شيء".

ثانياً: أهم المؤثرات فى شعره:

أسهمت عدة عوامل فى تكوين شاعرية بدربديو، ومن هذه العوامل:

١- الاستعداد الفطرى:

ظهرت موهبة بدربديوالشعرية بين التاسعة والعاشرة حينما كتب قصيدة هجاء فى صديق أغضبه، يقول: "وإنى لأذكر حادثة غريبة كنت بطلها فى مرحلة الطفولة الأولى، ربما فى سن التاسعة أو العاشرة لا أنساها رغم مرور العقود الكثيرة، ورغم أن ذاكرتى لا تتميز بالقوة، ذلك أن أحد الأولاد من رفاق هذه المرحلة من الطفولة قد أساء إلى بشكل لا أذكره بدقة الآن، وكانت نتيجة ذلك أنى كتبت قصيدة هجاء أسخر منه فيها، بعض كلماتها فصيحة، وبعضها عامية، وبعض عباراتها موزونة، وبعضها يكتفى بالسجع، وكان لها تأثيرها فى والد صديقى المهجوّ، فشكانى إلى والدى الذى طلب منى أن أسمعه كلماتى، ولم أستطع أن أعصى له أمراً... وكم كانت دهشتى كبيرة عندما رأيت على وجه أبى سروراً كبيراً، وإعجاباً بما فى كلماتى من إيقاع موسيقى، كان الوالد بفطرته قادراً على إداركه، بخلفيته الثقافية التى كونها حفظ القرآن الكريم، وبعض الأشعار الدينية، وبعض القصائد القديمة" (١).

ولم يجهد بدربديوقريحته على قول الشعر، لم يفتعل إثارتها أو شحذها، بل كان يترك التجربة تصوغ قصيدتها - إذ جاز هذا التعبير - بدليل أنه كتب - فى ديوانيه - نحو مائة قصيدة فى خمس وخمسين سنة" - أى بمتوسط أقل من قصيدتين فى العام الواحد!

(١) من حوار لم ينشر مع بدر بديو - أغسطس ١٩٩٨م.

وقد وجد هذا الاستعداد الفطرى تشجيعاً من أسرته، تمثل فى تقبل أبيه لما يكتبه عنه، وفى غناء أمه وأهازيجها التى كانت تهزج بها فى لحظات السرور. يقول الشاعر عن أثر أمه فى طفولته:

"ومن أغنياتها الرقيقة التى تؤديها فى لحظات السرور، ومن أهازيجها التى تؤلفها بنفسها لتدلل أحد صغارها تذوقت عينات من الإيقاع النغمى الذى نظم الشعراء على أساسه، ومن قلبها وسلوكها عرفت الحب الذى لا يشيهه حب والرعاية التى لا مثيل لها. لقد كونت أسرة سعيدة" [١].

٢- الثقافة العربية:

لا يكفى الاستعداد الفطرى مالم ترفده "كثرة المقروء من الكتب الرصينة أسلوباً وفكراً وحفظ نصوص كثيرة من بليغ الكلام والقول نثراً وشعراً، ويأتى فى مقدمة ذلك القرآن الكريم، والحديث الشريف" [٢]، وروائع الشعر العربى قديمه وحديثه.

وقد حفظ بدر بدير فى طفولته عدة أجزاء من القرآن الكريم، كما قرأ مجموعات من أحاديث الرسول ﷺ، ولأن الشعر يحتل ذروة سامقة فى ثقافتنا العربية قديمه وحديثه، فقد اطلع بدر بدير على نماذج كثيرة من الشعر العربى قديمه وحديثه، وهو قارئ، ذواقه لروائعه بدءاً من الشعرالجاهلى الذى بدأ قراءته وهو فى التاسعة ، يقول: "كنت فى سن الثامنة أو التاسعة عندما وقع ديوان "المعلقات السبع" فى يدى.... وإنه لشىء طريف أن يحرص طفل فى التاسعة –

(١) السابق.

(٢) د. حمد بن ناصر الدخيل: فى الأدب السعودي: بحوث ومقالات، ط١، ندى جزان الأدبى، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص٥٨.

أو حتى في العاشرة - من عمره على قراءة - بل إنشاد قصائد ديوان "المعلقات السبع" الجاهلية، والحق أقول: إنني عندما لم أكن أفهم شيئاً مما أقرأ لغرابة الألفاظ والمعاني، ولكني كنت أستمتع كثيراً بترديد أبيات المعلقات بصوت جهوري، حيث كنت أتصور المعاني والمناظر على ضوء الألفاظ، ومدى ما بها من خشونة أو نعومة، أي أنني كنت وقتها أصنع لنفسي الجو والمعنى الذي أتخيله من أنغام الموسيقى الشعرية" (١).

وهذا الحب الفطري نما وكبر أوراق مع الدراسة المنظمة للغة العربية في قسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة القاهرة على أيدي الدكاترة: طه حسين، وشوقي ضيف، ويوسف خليف.... وغيرهم.

والشاعر يعبر عن علاقته بالشعر العربي في قصيدة تحمل عنوان "الشعر العربي" يقول فيها:

عشقته وذبت في ينبوعه	فراشة حالمة بالنور
ودرت في رياضه مردداً	أغاني الطير للزهور
مغترفاً من نهرة مغتسلا	في مائة الموج المسحور
محموما في أفقه معتلياً	سحائب النشوة والسرور
راقصةً روحي على أنغامه	شاربة من خمره الطهور (٢)

وهو يشير في القصيدة نفسها إلى عدد من الشعراء الذين يفخر بهم الشعر العربي ويعتز، ومنهم: أبو تمام وأبو الطيب المتنبي في القديم، وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم وخليل مطران وعلي محمود طه في الحديث:

(١) من حوار لم ينشر مع الشاعر.
(٢) لن يجف البحر، ص ٢٦.

مصطحباً فى رحلتى إلى المدى — كـرائـم الـبـزاة والـصـقـور
صـوت أبـى تمـام يـغـرى أذنـى — فـكـر أبـى الطيـب فـى ضـمـيرى
وشـــدو حـــافـــظ وروح طـــه — وشاعـر القطرين والأمـير [١]

وهو ينظر إلى حال الشعر العربى اليوم، حيث غرق فى غموض الحداثة وألغازها وتعميتها، ويصف ذلك بالتلوث الذى يودى بالوجدان، فيقول:

يا حسرتا على العباد لم يعد — يـأتـيـهـمـو مـن شـاعـر قـديـر
لم يبق فى أفواهنا غير الحصى — نـلـقـيـه فـى مـسـامـع الجـمـهـور
فيهرب السمار أن قد ضيعوا — أوقـاتـهـم فـى الـعـبـث المريـر
تـلــوث أودى بـوجــدانــنــا — أم سكتة للقلب والضمير [٢]

وفى الأحاديث التى يدلى بها **بدر بدير** يتحدث عن أثر الشعر القديم فى تكوينه الشعرى فيقول: "وإنه لمن حسن حظي أنى تأثرت فى مرحلة البدء... بالشعر العربى القديم، سواء أكان جاهليا أم إسلاميا، أو من شعر العصور التالية، قبل مرحلة الشعر الحديث والشعر المعاصر، حيث ساعد ذلك على وجود قدرة انتقائية لما يمكن أن يكتب بعيداً عن تيارات الغموض والضبابية التى تحاول أن تؤثر فى حركة الشعر العربى المعاصر" [٣].

٢- الحياة السياسية:

كان **بدر بدير** يكاد ينتهي من دراسة المرحلة الثانوية حينما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢م، وتخرج من الجامعة ليجد نفسه مشدوداً بأطروحات هذه الثورة،

(١) السابق، ص ٢٦.
(٢) السابق، ص ٢٧.
(٣) من حوار لم ينشر مع بدر بدير - أغسطس ١٩٩٨م.

وملتحقاً بنظامها السياسي من خلال منظمة الشباب، ومن ثم فقد أثرت الأطروحات الثورية التي قدمتها ثورة يوليو في تكوينه المعرفي و في شعره، وبخاصة الدعوة إلى الوحدة العربية، ومؤازرة الثورات التحريرية التي وقفت في وجه الاستعمار الغربي؛ فتجده يغني لثورة الجزائر، ويغني لتحرير ليبيا من القواعد الأجنبية، وعند وفاة عبد الناصر يرثيه، وتؤرقه أحداث الحياة السياسية التي تمر بالوطن العربي – وما أكثر تلك الأحداث – فيكتب شعراً فيه مسحة الرفض والثورة، وفي هذه الدائرة يمكن أن نضمه إلى الشعراء المهتمين بالهم السياسي في شعرهم، مع محمد مهدي الجواهري، وعبد الله البردوني، ونزار قباني، وعبد الوهاب البياتي، وأحمد مطر.... وغيرهم.

ومن قصائده السياسية في ديوانه الأخير "ألوان من الحب" قصيدة عن اجتماعات القادة العرب، بعنوان "يالها من قمة"، ينتقد الأوضاع العربية المعيشة التي أصبته بالحزن والحسرة، ويقول فيها:

يا باكي الشدو ما صوتي بملتاع   رغم الأنين ولا قلبي بمرتاع

فقد تعودت طعم الحزن من زمن   وصاحبتني تباريحي وأوجاعي

منذ انكفأنا على أعقابنا فغدت   جموعنا اليوم أتباعا لأتباع [1]

وفي شعره نلمح أثر متابعته للأحداث السياسية التي يمر بها الوطن العربي والأمة الإسلامية، في إطار حبه للإسلام والمسلمين وانتمائه العربي.

٤- تعلقه بالطبيعة:

أحب بدوبديو الطبيعة الثرية بالجمال، فقد نشأ في قرية خضراء وارفة الظلال من قرى شرق الدلتا بمصر، إذ تكسو الأرض الزروع اليانعة طوال العام.

(١) ألوان من الحب، ص ٩٧.

ويتدفق الماء في المجاري المتفرعة من النيل، وترتفع هنا وهناك الأشجار الظليلة التي تمنح الريف جمالا طبيعيا غير مجلوب - على حد تعبير محمود غنيم.

وهذا ما انعكس على شاعرية بدر بدير، حيث نراه مولعاً بالطبيعة، ولا نكاد نبصر قصيدة له تخلو من مفردات الطبيعة، بل نراه يقول إنه قسم عواطفه بين جمال الطبيعة (المتمثل في زهر الروض) وشعره. يقول في قصيدة "الربيع المؤمن":

أين أمضي؟ لست أدري   شاقني الورد وشعري
كلما ملت على الور   د ازدهى الشعر بشغري
بين أشعاري وزهر الر   وض قد أنفقت عمري [1]

وفي قصيدته "ثلاثون عاماً التي يتغنى فيها بمرور ثلاثين عاماً على زواجه السعيد من شريكته في بناء العش، نراه يذكر الطبيعة في كل مقاطعها، ونتوقف هنا أمام المقطعين الرابع والخامس حيث نراه يستوحي بعض مظاهر الطبيعة في تعبيره عن الحب.

ففي المقطع الرابع يتمنى أن ينظم من النجوم الزهر - وهي مفردة من مفردات الطبيعة - عقداً ليضعه حول جيد صاحبته:

ثلاثون عاماً، ومازلت طفلا
يعيش على لمسة الأم فيك
ويحيا على شهد فيك
ويلتقط الأنجم الزهر ينظم عقدا
يعلقه عابثاً حول جيدك [2]

(١) لن يجف البحر، ص ٥١.   (٢) السابق، ص ١٦٠.

وفي المقطع الخامس يرى الزهر – وهذا من مفردات الطبيعة التي تزهو وتفخر – ينبت ويزهر في وجنيته، كما يرى البحر باتساعه وعمقه وخيراته في نظرات عينيها:

ثلاثون عاماً، ومازلت طفلة
تثور وتبكي ولكن بقبلة
أرى الزهر ينبت في وجنتيك
فأجني...
أرى لبحر في نظرات عيونك
فأهوى...
وأسبح حتى انبلاج الصباح
فأسند رأسي إلى ساعديك
أغفوا...
ولا حلم يزعج نومي [١]

ثالثاً: شخصيته:

للشخصية جانبان: خارجي وداخلي، وسوف أعتمد في الوصف الخارجي للشاعر بدربدير على ملاحظاتي، أما الجانب الداخلي فسأعتمد على شعره المنشور بين أيدينا في ديوانيه "لن يجف البحر" و "ألوان من الحب".

أ- شخصيته الخارجية:

أقرب إلى الطول، معتدلاً فيه، يميل إلى النحافة، بوجه أبيض وشعر كان كثيفا حتى الستين، يمشي بخطوات واسعة حتى تظنه يركض ركضاً، بشبوش يميل إلي رواية النوادر والفكاهات، يستمع جيدا لمن يحادثه، وهو صاحب عقل يقظ وإن بدا النسيان يعتريه بعد الخامسة والستين.

(١) السابق، ص ١٦٠، ١٦١.

ب- شخصيته الداخلية:

وسأعتمد على شعره، ترفده رؤيتي الخاصة، وصحبتي له على امتداد ثلاثة وثلاثين عاماً:

محب لأسرته: أمه وأبيه وزوجته وأولاده وأحفاده (وسنرى ذلك مبثوثاً في قصائده أثناء الدراسة)، وفيٌّ لأصدقائه، محب لهم، يرى أن حبهم دين، ومن ثم فهو يمحضهم وده وإخلاصه، وحتى لو أساءوا إليه فإنه يصفح عنهم، ويبدأ بالسلام والسؤال بعد الجفوة العارضة، فهو لا يستطيع أن يقطع المودة مع أصحاب عمره الذين يعدهم جزءاً من أهله، يقول في قصيدة "جرح الأحبة":

جرح الأحبة في عمق الشرايين   يطارد النوم من عيني ويبكيني
زرعت قلبي وروداً بت أحرسها   لكن أشواكها في القلب تدميني
في القرب منهم تباريح تؤرقني   وفي البعاد جحيم الشوق يضنيني
أهلي وأصحاب عمري في مودتهم   إن أحسنوا أو أساءوا حبهم ديني
لا يملك المرء تغييراً لأضلعه   ولا يبيع الفتى عيناً بمليون [1]

ويخلص في حبه لأصحابه الشعراء والأدباء، ويأنس بهم، ويهاتفهم إذا غابوا، وإذا أصدر أحدهم عملاً أدبيا عمل على مناقشته في قصر ثقافة ديرب نجم (الذي يتولى رئاسة الجماعة الأدبية فيه)، أو يكتب عنه كلمة نقدية في مجلة "صوت الشرقية" أو "أخبار الشرقية"، يقول في قصيدة "ما أروعك!" التي يهديها إلي صديقه الشاعر محمد سليم الدسوقي:

(١) ألوان من الحب، ص ٨٨.

غـرد كـثـيـراً أيـهـا الـشـادى
فـإنـى أرهـف الأذن المـتـيـمـة
الخبيرة بـالـلـحـون لأسـمـعـك
غــــرد إذا شـــط المـــزار
لـكـى يجـمـعنى إلـيـك الـشـدو
بـعـد شـتـات نـفـسـى فى الـدروب
ويــــجـــمـــعـــك [١]

وتتسع عاطفته ليحب سائر الناس، ويأنس بهم، ويحزن لما يصيبهم من آلام، يقول فى مطلع قصيدة "حب فى الستين:

طال عمرى فجاوز الستينا　　كل يوم قد عشت فيه سنينا
لو تقاس الأيام بالحب كانت　　سنواتى تقارب المليـونا [٢]

وبدر بدير كما أعرفه شخص متكيف مع مجتمعه، يشارك فى أفراحه ومآتمه، ويصادق أفراداً من طبقات مختلفة، لا تقتصر على فئة المعلمين - وهى الفئة التى كان يشاطرها الوظيفة، أو فئة المثقفين التى ينتمى إليها.

---
(١) السابق، ص ٧٤.
(٢) السابق، ص ١.

المبحث الأول

شعر الحب

الشعر الوجداني "هو الذي يعبر عن انفعالات قائله الشخصية، وما يكتنف وجدانه من مشاعر وخواطر وعواطف مختلفة" حتى يصل إلى "تصوير أشواق الإنسان وطموحه وقلقه وهمومه في مرحلة من شأنها أن تثير في النفس كل هذه الألوان من العواطف والأحاسيس" [١]. وفي القمة منه شعر الحب:

وإذا قلنا شعر الحب فإننا نقصد به الشعر الوجداني، الذي يعبر عن عاطفة الشاعر تجاه مواقف ذاتية تعرض لها، ويكشف عن نبل عاطفته وسموها، وهذا ما نلحظه في جل شعر الشاعر، بل في حياته السمحة المحبة العطوف. يقول في قصيدته "حب في الستين":

طال عمري فجاوز الستينا   كل يوم قد عشت فيه سنينا

لو تقاس الأيام بالحب لكانت   سنواتي تقارب المليونا

قد حفظت الوداد خيطاً رفيعاً   مع قومي فصار حبلاً متينا

وزرعت الحنان حول قلوب   قاسيات فأزهرت نسرينا

ليس عندي سوى المحبة نهراً   في عروقي جرى هوى وحنينا [١]

ولكنا لن نقصد بالحب – في هذه الفصل – إلا حب الشاعر الأنثى، ونعني به ذلك الشعر الذي يكتبه الشاعر متغزلاً.

ويحتل شعر الغزل مكانة كبيرة في شعر بدويدير؛ فقد كتب في الديوان

---

(١) د. عبد القادر القط: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ط٢ ، دار النهضة العربية، بيروت ١٤٠١ هـ- ١٩٨١م، ص ٤٩٠.
(٢) ألوان من الحب، ص ١.

الأول إحدى وعشرين قصيدة [١] بنسبة ٣١٪ وكتب في الديوان الثاني ثماني قصائد [٢] بنسبة ٢٠٪. والديوانان معاً نسبة قصائد الغزل فيهما ٢٧٪، (أي أكثر من ربع قصائده)، وهي نسبة تفوق أي غرض خر من أغراض الشعر عنده.

وأغلب قصائد الحب عند بدربديو تقع في دائرة الحب في الشعر العربي حيث "تتأرجح بين التوق إلى امتلاك الحبيبة والتوسل إليها، وبين الحزن والبكاء الناتج عن فقدان المرأة، وهذه الموضوعات تبدو امتداداً لموضوعات الشعراء الرومانسيين العرب" [٣] الذين لم يتخلص مضمون أشعارهم "من التركيز تركيزاً شديداً على علاقة الرجل بالمرأة/ الحلم، والمرأة / الملاك" [٤].

يقول بدربديو في قصيدة "طيف الحبيب"، التي كتبها عام (١٩٦٢م):

يا ملاكاً نائماً فوق الحرير	بين أثواب كأوراق الزهور
ينظم الأحلام في أسلاك نور	وأنا أحسو من الكأس المرير
يا ضياء ساكناً في ليل روحي	يا حبيب القلب والعمر النضير
يا نسيماً هب فاهتزت غصوني	وانتشى العصفور في العش الصغير
إنني أحيا على برق الأماني	كشعاع هام ما بين الصخور

إن المرأة / الحلم، والمرأة / الملاك بارزة في الأبيات السابقة، فهي حلم

(١) هي قصائد: تعالي، طيف الحبيب، لا تخجلي، رسالة مع النسيم، كوم أمبو حين تفرق الأحبة، لست لي، اللحن الخالد، زورق الأمل، الحب أرزاق، القلب المذاب، ذكرى، البائس المنتحر، قالت لي، بين اليأس والأمل، دقات القلب، حبي، أهواك، لا أصدق، أغنية، ثلاثون عاماً، أنت.

(٢) هي قصائد: لا تتأخر، وداع من أجل اللقاء، جراح الأحبة، لا تذبلي، حبيبي المريض، كل هذا أنت، لا تسرعي، ضمير غائب.

(٣) د. محسن أطميش: دير الملاك: دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٢م، ص ١٧٠.

(٤) د. عبد المحسن طه بدر: حركات التجديد في الأدب العربي، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٥م، ص ١٧٥، ١٧٦.

جميل يتوق إلى تملكه، بل يصفها بـ "الملاك" النائم فوق أثواب من الحرير تشبه أوراق الزهور، ونلمح حزنه لخوفه من فقدانها في قوله "وأنا أحسو من الكأس المرير"، فهو بعيد عنها، حيث كتب لها من بلاد النوبة بينما تقيم هي في الدلتا، وتظهر الجملة الأخيرة في هذا المقطع "كشعاع هام ما بين الصخور" خوفه الدفين من معاناة الحب وأحزانه وفراقه وسهد لياليه!

وفي غزليات بدر بدير نرى معاني جميلة، منها أنه يحب محبوبته من قبل الخلق والحياة! فكأنه حب أبدي أزلي لا تنفصم عراه.

يقول في قصيدة "أهواك":

يا منيتي أهواك قبل تذوقي طعم الحياة

أيام كنت بسمة وضاءة رسم الإله

وشعاعة مسحورة جمالاً من سناة [1]

ويكتب على لسان الحبيبة أنها تريد أن تستمتع بكل لحظة من لحظات الحياة، وأنها لا يهمها الماضي مع من كان!. يقول في قصيدة "قالت لي":

ذب في لا لا تحك لي ... عن الغرام الأول

وخلني أسقيك من ... كأسي رحيق الغزل

وخلني أنسيك ماضي ... ك مع المستقبل

فليس في الماضي سوى ... دمع، وما جدواه لي؟

ولست أدري ما الذي ... خبأه مستقبلي [2]

وتبدو في أشعاره المبكرة رغبة في التمتع بأطايب الحياة ونشوة الحب، وهو

---

(١) لن يجف البحر، ص ٨٩.

(٢) السابق، ص ٦٨.

يرى أن العمر قصير، ونهاية هذا الربيع إن لم تجتنه ذبول وجفاف، وهو يرى إن الحب نبع رائق، ويريد أن ينهل منه نهل الثمل الذى لن يرتوى مهما شرب!

يا منيتى هذا رجائى	وتدانى فاقبلى
فالسوسن اليانع قد	يشيخ إن لم يذبل
ويختفى الدر ورا	ء السحب إن لم يأفل
والحب نبع رائق	معطر فلننهل
ولنرتشف كأس المنى	قبل انتهاء الأجل [١]

ويبدو أنه كان يعانى فى حبه من عدم تحققه على الوجه الذى يريد، يقول فى قصيدة "أهواك":

أنا ما خلقت لكى أذوب سدي، ويفنينى الألم
قيثارة أنا، لن تزالى حول أو تارى تغم
الكون فى عينى، والأيام والدنيا صداه
إن ضعت منى فى الحياة... لقاؤنا بعد الحياة [٢]

ففى قوله "أنا ما خلقت لكي أذوب سدى، ويفنينى الألم "تلمح ما يسميه بـ "شجن دفين، وحرمان ظالم، وحلم أزلى باللقاء" [٣]، فى لقاء له. يقول عن أحاسيسه تجاه الأنثى فى المرحلة الجامعية:

"ثم تطور هذا الأحساس فى المرحلة الجامعية، فصار محدد الأهداف، يغذيه خيال جامح، وعاطفة جياشة. لقد كان تعبيراً عن شجن دفين، وحرمان ظالم،

(١) السابق، ص ٣٢. (٢) السابق، ص ٩٠.
(٣) من حوار لم ينشر مع بدر بدير - أغسطس ١٩٩٨م.

وحلم أزلي باللقاء، ولكن ذلك كله كان من طرف واحد، طرف الفتى الريفي الساذج المتحفظ الخجول، وعاش هذا الإحساس طول فترة الدراسة الجامعية، وكان صداه مجموعة من القصائد التي كتبتها آنذاك (وتجدها في ديواني الأول "لن يجف البحر")، مثل قصائد: "لست لي"، و "اللحن الخالد"، و "زورق الأمل" و "البلبل المنتحر"، و "القلب المذاب" التي قلت فيها:

ردد الغصن زفرة العندليب   وشكا الطل للفراش القريب
وتناجى الحمام لكن قلبي   يسهر الليل وحده يا حبيبي

وقصيدة "الربيع القاحل" التي عبرت فيها عن خيبة أمل عنيفة وحزن قاتل لخيبة التجربة العاطفية الساذجة، والتي قلت في مطلعها:

يا ربيعاً لم أعانق فيه زهره   لا، ولم أشرب بكأسي غير حسره
أنا لاكنت ولا كنت ربيعاً   كيف لا تطفيء في قلبي جمرة

يا ربيعي ما لعصفورك يندم   ويقرب العش قيثار محطم
وبقايا من زهور ذابلات   وغراب أسود كالليل أسحم

يا ربيعاً ملأ القلب شتاء   يا صباحاً بات في عيني مساءً
أنا لا كنت ولا كنت ربيعاً   ليتني كنت وإياك هباء [1]

وقصيدة "بين اليأس والأمل"، وقصيدة "دقات القلب"... وغيرها، وكل هذه القصائد كتبت بين سنتي ١٩٥٤و ١٩٥٨م، وهي سنوات الدراسة الجامعية

(١) أنظر نص القصيدة في "لن يجف البحر"، ص ٧١ فما بعدها.

التى مررت فيهابهذه التجربة الفاشلة، لأنها كانت من طرف واحد. لقد كانت فترة مليئة بالمشاعر المجهضة، والأحلام التى حققتها فقط فى عالم الخيال. فإذا صحوت على الواقع المُرير ارتفع الأنين فى نغم شعرى حزين" [١].

وظاهرة الحزن فى شعر الشباب – وبخاصة فى شعر الحب والوجدان – يفسرها الأستاذ حسن كامل الصيرفى بقوله:

"وإننا لنجد فى كثير من الشعر الذى قاله أصحابه فى مطلع شبابهم مسحة من الألم وسحابة من التشاؤم مع ما يحيط بحياة الكثير منهم من مظاهر البهجة والنعمة وما يفسح الشباب لهم من آمال، ولكن سبب ذلك التشاؤم هو كبت العزيزة، ولهذا الكبت تأثيره على الشاعر... يضاف إلى هذا أن المرأة لم تكن قد بلغت من التعليم الحد الذى يشعر فيه الشاعر بالتجاوب بينه وبينها كما نرى فى الأجواء الأدبية فى الغرب، وهذا التجاوب من بواعث التفاؤل والبهجة حين يشعر الشاعر بأن هناك من يفهمه ويقدر ما يقوله، ويعجب بما يكتب، فيصدح غرداً بالنغم المرقص الطروب.

ولكن الشاعر العربى من هذه الناحية محروم، يشعر بالمرارة لأنه يخاطب خيال المرأة، لا عقلها ولا قلبها. فليس هناك صدى لما يهتف به، ولا أثر لما يخفق به قلبه، وتفيض به شاعريته" [٢].

ومن الملاحظ على شعر بدر بدير فى الحب ما انتقده الدكتور بكرى شيخ أمين فى الشعراء الغزلين المعاصرين من "استئثار الشاعر بالتعبير عن هواه

---

(١) السابق.

(٢) حسن كامل الصيرفى: الحزن، أسباب شيوعه فى أشعارنا وأغانينا، مجلة "المجلة"، العدد التاسع، سبتمبر ١٩٥٧م، ص ٧٤، ٧٥.

فقط، وعما يكابد من الحب، وما يلقى من تباريحه، وهو عمايعبر يقع بنفسه عند لقائها، أو عند وداعها أو عند تذكرها. كان جل حديثه عن معشوقته حديث المشتهى جسدها، الطامع إلى وصالها، وما كان يعنيه أنّ يلتفت إلى عواطفها، أو يعبر عما يكويها ويحرقها، بل ما كان ليدور على لسانه من أمرها ما هى عليه من عقل، وما وراء جمالها من ذكاء، وما بين حناياهامن هم، أو أمل، أو مثل، إنما هو مشغول دائماً بنفسه، وهواه، ورغباته، وتطلعاته" [١].

أما شعره الغزلى الذى كتبه فى زوجته، فيلتفت فيه إلى عواطف زوجته نحوه، "ويرسم صورة فنية لما هى عليه من عقل، وما وراء جمالها من ذكاء، وما بين حناياها من هم، أو أمل، أو مثل".

وقد كتب بدربدير قصائد كثيرة فى زوجته، منها قصيدته "كل هذا أنت"، التى تعبر عن شعوره المرهف تجاه زوجته، حيث "حلت العشرة، ورقت الألحان المعبرة عن هذه العشرة السعيدة التى أعتبرها مثالاً للسعادة المبنية على الحب والمشاركة فى الحياة على وجوهها المختلفة، المبنية على الحب أساساً، والإيثار إطاراً. الحب الذى يهب الإنسان كل يوم عمراً جديداً" [٢]. يقول فى هذه القصيدة:

مهجة القلب، أين وجه الحقيقة	زوجة أنت يا ترى أم صديقة؟
أنت ما شاع فى ضميرى نور	كنت نبعاً له وكنت بريقه
كلما داعب المنى لى خيالاً	كنت أحلى المنى، وكنتت طريقه
وإذا عز فى الصعوبات رأى	كنت عقلا موصلاً للحقيقة

(١) د. بكرى شيخ أمين: الحركة الأدبية فى المملكة العربية السعودية، ط٢، دار صادر، بيروت ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م، ص ٢١٩.
(٢) من حوار لم ينشر مع بدر بدير - أغسطس ١٩٩٨م.

وإذا ما طغى الهجير، وازادت قسوة القيظ، واشتكينا حريقه
صرت روضاً وصرت ظلا وزهراً يعشق القلب لونه ورحيقه
وإذا بلبل الفؤاد تغنى فبعينيك نهرة والحديقة
كل عام من قبل لقياك دهر والتقينا فصار يومى دقيقة
فى نهار الكفاح تشهد شمسى فى جوارى على طريقى رفيقه
وإذا طاب للمحبين ليل شاهد البدر فى فراشى عشيقه [١]

ومن الملاحظ على نصوصه التى يكتبها متغزلاً فى زوجته زنها "تشير إلى إنهيار الحواجز بين الحب والجنس، وتدفع إلى النظر المستأنف فيما تحمله الألفاظ من المعانى فى الظاهر، وعلى أساسها يمكن أن نلحظ ضياع مصطلحى "نسيب" و "غزل" ، أو نفسرها تفسيراً جديداً، ذلك لأن الشعر الذى يعبر عن عطفة الحب، لم يعد ينقل عاطفة مفردة بسيطة، وإنما ينقل غابة متشابكة الغصون من العواطف والمشاعر" [٢].

ويتضح ذلك من النص السابق، وبخاصة البيت الأخير.

ومن القصائد المتفردة فى الشعر العربى – على امتداده – قصيدته "ثلاثون عاماً" التى يوجهها الشاعر إلى رفيقه دربه (أو كما يقول "عصفورته التى شاركته بناء العش منذ ثلاثين عاما"، فيرى أنها النور الذى شع بفجره على حياته، وأن عمره معها مر سريعاً سعيداً كالحلم، وأنها هبة معطرة من الله:

(١) ألوان من الحب، ص ١١٠، ١١١.
(٢) د. إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربى المعاصر، ط٢، دار الشروق، بيروت ١٩٩٢م، ص ١٣٥.

ومرت ثلاثون عاما علينا

كما أطلع النور للكون فجرا

كما الحلم للعين زار ومرا

كما قبله العاشق اشتعلت فى المساء

لتلهب ثغار

كما نفحة الطيب سالت من الله يوما

لتصبح زهرا

ويقول الشاعر إنه عاش مع زوجته ثلاثين عاماً، مترعة بالصفو الجميل والسعادة الحقيقية، وقد شاركته بناء العش فى حدب وإيثار، كما كانت طوال هذه السنوات الطوال مثالاً للعطاء المخلص الذى لا يشوبه بخل:

ثلاثون عاما بحرثك

فما ضاع جهدى سدى

ولابت يوما أعانى الصدى

ولا أخلف السعد لى موعدا

ولا ضقت يوماً بحمل ثقيل

ولا ساعة البذل حينا

إلى عنق قد غللت اليدا [١]

إنه يتحدث عن سنواته الجميلة التى عاشها مع زوجته فى عشهما السعيد الجميل، لقد مرت كلحظة واحدة متوهجة بالعشق كقبلة العاشق الهيمان، ولقد

(١) المرجع السابق، ص ١٥٩.

كانت - وما زالت - ذات خلق عال يحض على البذل والعطاء، كما لا ينسى أن يشير إلى اللحظات الحميمة بينهما فى هذا العش السعيد (أليسا عصفورين؟)، ويكتب مقطعا جميلا عن التواصل بين الزوجين، الذى جعلة يكتب هذا الغزل:

ثلاثون عاما ببحرك

ولم أسمع يوما لأبلغ برا

ثلثون عاما بسبحتك

وما تقت حينا لأصبح حرا

ثلاثون عاما أعب الهوى من كؤوسك خمرا

وأغزل للحب شعرا

وأسكب سحرا [١]

وبعد مقطعين آخرين يتحدث الشاعر عن السعادة التى عاشها مع زوجته، ويتمنى أن يمنحه الله ثلاثين عاما أخرى، ليظلا شعاعين من ضوء يسبحان فى فضاء الله، ولا حلم غير سعيد يقلق نومه الهانىء:

ثلاثون لم كتفى فليكن لى

ثلاثون أخرى إلى جانبيك

أظلُّ عليكْ

فيتفتح الكون قدام عينى

حدائقَ زهْرٍ

وأنهارَ خمْرٍ

(١) السابق، ص ١٦٠.

٥٧٧

وشلالٌ ضوءٍ وعطرٍ

لنسبحَ في

شعاعين يبتسمان

طويلا طويلا لوجه القمر

وفى ساعة الصفو عند السحر

ننام،

ولا حلم يقلق نومى

ففى يقظتى قد تحلق حلمى [١]

إن الحب للأنثى ملمح بارز – كما أسلفنا – فى شعر الشاعر بدر بدير، ويحتل حبه زوجته قسماً كبيراً من شعره، وفى هذا الحب للأنثى عموماً ولزوجة خصوصاً، لا تجد لفظة قبيحة، أو عبارة مخلة بالأدب، ويكشف شعر الحب عنده عن نفس عاشقة للجمال، محبة لسكن الزوجية، تفرغ من الفراق وتخافه، وتتمنى أن تعيش عمراً طويلاً فى كنف الزوجية الآمنة المستقرة.

يقول فى حوار أجريته معه: "وإذا كان الحديث عن الزوجة فى شعرنا الربى قديماً وحديثاً قد اقتصر على رثاء الشعراء لزوجاتهم حيث رفع بعضهم عقيرته باكياً، شاكياً صدمة الفراق، عاجزاً عن منع نفسه من الحديث عن شريكته بى هذا الموقف الطاغى الغلاب، حيث يقل الحرج وتغلب الدموع، فإنى أدعو الله الرحمن أن يجنبى هذا الموقف لأعرف فى تاريخ الشعر العربى بأنى من رواد الغزل بالزوجة فى حدود الحشمة والحلال، ولست ممن شاركوا فى موكب رثائها، ولا بكلمة واحدة" [٢].

---

(١) السابق، ص ١٦١.
(٢) من حوار لم ينشر مع بدر بدير – أغسطس ١٩٩٨م.

المبحث الثانى

شعر الطبيعة

يرى الدكتور **عبد المحسن طه بدر** أن شعرنا العربى القديم لم يعرف شعر الطبيعة، وإنما شعر الوصف، ويرى أن تسمية شعر الطبيعة هذه "مستمدة من الشعر الأجنبى، وتكشف عن دلالات جديدة ووظيفة جديدة لهذا الشعر؛ إذ يقوم شعر الطبيعة على تعبير الشاعر عن التجاوب الشعورى بينه وبين مظاهر الطبيعة، فى حين يعتمد شعر الوصف على دقة الشاعر فى تحديد الصفات الظاهرية لهذه المظاهر" (١).

ويقول الدكتور **إحسان عباس** عن الفترة التى بدأ فيه **بدر بدير** ينظم أشعره وهى تلك الفترة القلقة فى حياة الشعوب العربية بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، وظهور حركات التحرر الوطنى فى البلاد: "إن الحركة الشعرية كنت فى تلك الفترة" تتقلب على مهاد الأحلام، وتسبح فى الأضواء والعطور... كان **محمود حسن إسماعيل** قد بنى كوخه الريفى الجميل فجذب إليه كثيراً من الشبان الذين يوثرون الحياة الريفية، وكان المهندس **على محمود إسماعيل** ينتقل تائهاً فى زروقه بي عوالم تتدفق فيه الفتنة، ويعج فيها السحر" (٢).

وإذا كان الشعرُ "يستمد موضوعاته من طبيعة بيئته، يتأثر بها ويؤثر فيها، محاولٌ أن يعبر ع تأثيره وتأثره" (٣). فإن الطبيعة فى شعر **بدر بدير**

---

(١) عبد المحسن طه بدر: التطور والتجديد فى الشعر المصرى الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١م، ص ٢٠٣.

(٢) د. إحسان عباس: بدر شاكر السياب، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢م، ص ٣٠.

(٣) د. بهيج محمد القنطار: الطبيعتان الحية والصامتة فى الشعر الجاهلى، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٦م، ص ٤١.

تظهر ممتزجة بروح شاعرنا ووجدانه فى معظم قصائده الوجدانية، يقول فى قصيدة "القلب المذاب" التى كتبها وهو فى الحادية والعشرين من عمره (عام ١٩٥٥م):

كلما الشوق أشعل القلب نارا هدأ النار فيض دمعى السخين

وإذا غبت فى الوجود بفكرى أرقب البدر غارقاً فى شجونى

أو أبث لوعة روحى وعذابى وحرقتى من ظنونى

أو أناجى هناك فى الأفق نجماً هزة الحب فى شباب السنين

يهتف الليل بعد ما لف روحى ذوب القلب فى دموع الحنين [١]

حيث تلمح فى البيت الثانى ملمحاً من ملامح الطبيعة الساحرة فى الريف فى قوله "أرقبُ البدْرَ غارقاً فى شجونى"، فكم سهرالمحبون فى الريف مع البدر، يبثونه شجونهم، ويبدو لهم حزيناً مكتئباً مشاركاً لهم، فى ليل الريف الصامت الساجى، ثم يذكر النسيم، والنجم، وكأن الليل قد سمع شكاته، فهتف به: أيها الشاعر المحب الحزين، يا من تناجى البدر والنسيم بشكاتك، لا نجاة لك مما أنت فيه من حزن، إلا بأن تذوب هذا القلب العاشق المحب فى دموع الحنين إلى المحبوب، عساه يلين، أو يشعر بك!.

ويقول فى قصيدة بعنوان "رسالة مع النسيم" أرسلها لمحبوبته من "بلاد النوبة" عام ١٩٦٢م:

يا نسيم الليل قبل يدها وانسكب يا طهر فى معبدها

قل لها ياليل إنى ساهد والدنا قد سئمت مرقدها

(١) بدر بدير: لن يجف البحر، ص ٥٧.

يا ملاكي هاهنا الليل هنا	أنا وحدي ساهر فيه أنا
أنظم الأحلام في خيط المنى	وأغاريد الهوى أنشدها
فإذا ما سمع الليل ندائي	وشجى أسامه سحر الغناء
ردد أنجمه السكرى دعائي	وتسابيحاً بها أسهدها [١]

فها هي الدنيا في ظلام الليل قد سئمت مرقدها، وها هو يطلب من نسيم الليل أن يحمل أشواقه من الجنوب إلى الدلتا حيث مرقد حبيبته، وربما حبيبته التي يشبهها بالملك في العفة والطهر نائمة، ولكنه يصنع عقداً فريداً من أحلامه وأمانيه حيث "ينظم الأحلام في خيط المنى" (وهي صورة مبتكرة لم يفترسها شاعر من قبل). إنه شاعر عاشق معذب، سرعان ما يستمع الليل إلى ندائه، ونجوم السماء يشجيها سحر غنائه، فتردد معه الدعاء بأن يحفظ له الله حبيبته البعيدة، وأن يطوي الزيام ليلتقها ويقر فؤاده.

ومن الواضح أن الطبيعة هنا جزء من تجربة الشاعر، ومفردة أصيلة من مفردات قصيدته لا يمكن الاستغناء عنها، وهي لم تأت لتلوين اللوحة الشعرية، بل هي مكون من مكوناتها.

لقد هرب الشعراء الرومانسيون إلى الطبيعة "من صخب المدينة وضجيج المصانع، فوجدوا فيها سحر الوجود، وجمال الحياة، فأحبوها وأحبتهم، وكلموها وكلمتهم" [٢]. يقول في قصيدة "الحب أرزاق" ألتي كتبها عام (١٩٩٢م)، أي بعد القصيدة السابقة بسبع وثلاثين سنة:

(١) السابق، ص ٣٣.
(٢) د. علي علي مصطفى صبح: من الأدب الحديث، ط١ المريخ، الرياض ١٤٠١هـ – ١٩٨١م، ص٥٤.

حبيبتي، ونجوم الليل ساهرة ترعى هونا، لها هدب وأحداق
حبيبتي، ونسيم الليل مبترد ونهرك العذب مغداق ورقراق
روحي بشيطة طول الليل ساهرة تلفه منه أزهار وأوراق
مدى جناحيك، ضمي شاعراً غزلاً بسحرك العذب مفتون وذواق
تحيا به روحه نشوى مدلهة في روضة الحب إن الحب أرزاق [1]

إن الطبيعة تبدو ثرية مغدقة في الأبيات السابقة، وقد استحضرت التجربة الشعرية مشاهد عاشها الشاعر في قريته: في طفولته، وفي صباه، وفي كهولته، حيث مازال مرتبطاً بقريته ومزرعته، يذهب إليهما في أوقات مختلفة من الأسبوع، ومن النهار والليل، وإذن فالنجوم الساهرة في الليل ليست ألفاظا شعرية تكتب، وإنما هي معاناة شاعر ورؤية قلب، و"نسيم الليل مبترد" حيث تكون نسائم الليل الصافية الحنون أقل حرارةً منها في النهار، ويشعر بلسعة برودتها من عاشها في ليالي الريف، وبخاصة في فصل الشتاء... وقل كذلك عن مفردات الطبيعة الأخرى التي يمتاحها من واقعة، ليعبر بها عن ألوان تجاربه، ورؤاه الشعرية المختلفة.

وفي البيت الأول جعل الشاعر "نجوم الليل ساهرة، ترعى الهوى، ولها هدب وأحداق"، فهو هنا - كالشعراء الرومانسيين - حينما يضفون على الطبيعة "ملامح إنسانية، ويجعلونها تضحك وتبكي، وتطرب وتشقى، وتناجي وتشتكي، وتعاني وطأة الوجود وتغتبط به، فكأنها إنسان متكامل سوي" [2].

(١) السابق، ص ٥٦.
(٢) إيليا الحاوي: فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٧، ص ١٢.

ومن قصائده التي وظف فيها مشاهد الطبيعة للتعبير عن تجربته قصيدته "لا تتأخر"، التي يقول فيها في مقطعها الأول:

"لا تتأخر"

في كل صباح ترجوني "لا تتأخر"

يا ساحرتي

هل يملك موج في بحر يزخر

أن يتأخر؟

أو يتوني يوماً عن حضن الشآن؟؟

أو يملك جفن أ يتأخر في الإطباق من العينين

على الإنسان

أو تملك هذي الكرة الأرضية

أن تتأخر في الدوران؟؟

أو يملك قلب العاشق

أن يرتاح من الخفقان؟؟

أو يملك نسر أن يرتاح عن الطيران؟؟

يا شاطىء موجي

يا إنسان العين

ويا سر الجذب لأرضي

يا نبض القلب العاشق

لن أتاخر [1]

(١) ألوان من الحب، ص ١٦، ١٧.

وقد أثارت هذه القصيدة حينما نشرت فى جريدة "المسائية" السعودية حواراً نقديا حول الوضوح والغموض فى الشعر، فقد عاب عليه الناقد **محمد منور** وضوحه الذى رآه عيبر فنى:

"لكن الشاعر **بدربديبر** فى قصيدته "لا تتأخر" رغم اختياره للشكل الشعرى الجديد ظلت قصيدته من الوضوح بمكان، فى صورها وتراكيبها، فهو لم يوفر لها جماليات القصيدة الحديثة التى تجعلها أكثر تأملية، فعباراته لا أجدنى محتاجاً للوقوف عندها مليا لفهم وتأمل معانيها، حيث هى فى غاية الوضوح والمباشرة [١].

وقد رد عليه الدكتور **عبده زايد** بقوله أن الوضوح ليس عيباً، كما أن الغموض ليس محمدة: "لست أوافق الأخ **محمد منور** على ذم الوضوح فى شعر بدر بدير برغم كتابته على الشكل الشعرى الجديد... فليس الوضوح مذمة، ولا الغموض محمدة، والذى يذم هو السطحية والابتذال، والوضوح ليس مضادا للعمق، وعدم الوقوف عند النص الواضح العميق ليس عيباً فى النص، ولكنه عيب فى المتلقى الذى يكتفى بالوقوف عند الظواهر، والذى يكتفى بإلقاء نظرة على سطح البحر فإنه يستطيع أن يتحدث عنه، ويسرف فى الحديث، ويزعم أنه أحاط به علماً، ولكن هذا لا يعنى أن عطاء البحر الواسع الفسيح الواضح الممتد يقف عند هذا الحد. ومن اكتفى بالنظرة الأفقية إلى البحر فليس من حقه أن يزعم أن البحر يخلو من العمق والأسرار والدرر والآلى" [٢].

ونوافق الناقد على قوله "ليس الوضوح مذمة، ولا الغموض محمدة، والذى

(١) محمد منور: قرأت العدد الماضى، ملحق إبداع "المسائية"، فى ١٤١٤/٦/٣ هـ.

(٢) د. عبده زايد: قراءة فى ملحق إبداع الماضى، المذموم هو الابتذال، المسائية، فى ١٩٩٣/١٢/٧م، ص ١١.

يذم هو السطحية والابتذال"، فكم من شعر غامض لا يساوى فى ميزان النقد شيئا، لأنه ليس غموض الفن، وإنما غموض العمى الفنى وانعدام البصيرة، وليس الغموض الفنى الشفيف الذى يكشف عن نفسه للقارىء المقتدر.

ويصنف الدكتور عبده زايد موضحاً ضرورة الوضوح فى هذا النص: "وبدر بدير الذى يتغنى فى زوجته عاش معها ثلاثين عاماً، ومدة كهذه يكفى معشارها ليعرف كل منهما صاحبه من النظرة الأفقية الظاهرية، ولو أتم كل منهما فهم صاحبه من النظرة الأفقية الظاهرية، وأخذ منه كل ما عنده، وتوقفا عن العطاء المتجدد، لأصبحت الحياة مملة، تبعث على السأم والضجر. لكن سنوات المعاشرة الثلاثين كنت ثرية العطاء، وفى كل يوم جديد تعطى عطاءً جديداً، فكان عطاء الحياة الزوجية متجدداً دائماً عذباً زيداً. فهل ترى وضوح العلاقة الظاهر بينهما كافياً فى فهم سر الحياة المتجددة؟ إن موقعاً كهذا يناسبه الشعر الواضح العميق الذى يعطيك بالرؤية الأفقية بعداً، ويتجدد عطاؤه بمقدار تجدد النظر فيه، ولله در أبى نواس حين قال:

يـزيدك وجهه حســناً ... إذا مـــا زدتـه نظرا

وليسمح لى الأخ محمد منور أن أقول له: إن الغموض فى القصيدة الحديثة قد يكون دليل عجز، وكم طنطن النقاد حول نصوص فارغة، يحملونها ما لا تحمل، ويقولون فيها ما لا وجود له إلا فى خيالاتهم وأوهامهم.

وفى قصيدة "لن أتأخر" نجد لوناً من البوح النفسى يشرح فيه الشاعر أحاسيسه ومشاعره، ومع أن لغة الشعر لا تتحمل الشرح والتكرار، فإن شرحه هنا كان محمودا، وتكراراه كان جميلا، ورد آخر هذه الفقرة من القصيدة على

أولها – على طريق رد الأعجاز على الصدور [١] التى كانت تتم فى البيت الواحد عند القدماء – مما يستحسن فى هذا الموقف.

إن بدريديو يقدم هنا مشاهد من الطبيعة تقوم على التلازم الذى لا ينفك؛ فالموج لا يتأخر عن الشطآن، والجفن لن يتأخر عن الإطباق على إنسان العين، والكرة الأرضية تدور حول الشمس بفعل الجاذبية، والنسر لا يملك إلا أن يحلق فى الفضاء، ثم يرد ما بقى من هذا الجزء من القصيدة على أوله، ليبين أن العودة إليها لازمة من لوازم الطبيعة التى لا تنفك، وكان يمكن أن يكتفى بهذا التشبيه الضمنى الذى تعددت صوره، لولا أن النساء يحبن التصريح، والتوضيح، والشرح والتكرار، ويجدن فيه متعه ولذه، وهو ما فعله بدريديو وكان موفقاً فيه"[٢].

وفى المقطع الثانى من هذه القصيدة يرينا بدريديو مشاهد من الطبيعة تشى بالجفاف والفقدان وعدم الجدوى قبل التقائه بزوجته؛ فشبه نفسه بالربيع الذى لم يسعد بابتسام الزهر فيه، أم كالهشيم الذى اشتعلت فيه النار، أو الليل الذى يحلم بالصبح!، ونجد التعبير عنده عن الحب يرتبط بالطبيعة ارتباطاً وثيقاً، يذكر بما نجده عند شعراء الرومانسية، وشعراء المهجر [٣]:

إن كنت تأخرت كثيراً عنى قبل اللقيا الأولى

وأنا

(١) انظر فى رد العجز على الصدر عبد الرحمن حسن حبنكه الميدانى: البلاغة العربية: أسسها، وعلومها، وفنونها، ط١، دار القلم، دمشق ١٤١٦ هـ- ١٩٩٦م، ج٢، ص ٥١٤.

(٢) عبده زايد: مرجع سابق، ص ١١.

(٣) فى ارتباط تعبير الشاعر المهجرى عن الحب بالطبيعة انظر د. عبد الحكيم بليغ: حركة التجديد الشعرى فى المهجر بين النظرية والتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م، ص ٢٧٩.

كربيع لم تبسم فيه الأزهار

كهشيم شبت فيه ألسنة النار

كمساء طال سنيناً يحلم بنهار

كالنهر إذا ركد الريح ولم يمرح فيه التيار

وأتيت

فكنت ربيعي.. زهري.. صبحي

نهري..

المرح الدافق

عمري.. نغمي.. عودي

والأوتار

ولذا لن أتأخر [١]

وقد بنى المقطع الشعري السابق على المقابلة، بين حالة قبل وجود الزوجة المسعدة، وبعد إشراقتها في حياته، واتخذ من مفردات الطبيعة ما يعبر به عن تجربته الشعرية التي عاشها واقعاً وحياةً قبل أن يصوغها شعراً. ونحن لا نشعر في هذا المقطع بأثر الصنعة، ويصدق عليه ما قاله الدكتور **محمد زغلول سلام** في الشعر عند مدرسة الرومانسية "وكأن الشعر عندها تغريد طائر، أو خرير ماء، أو دوي رياح، يصدر عفويا عن الشاعر لا عن صنعة متعمدة، ولا عن نشاط ذهني، وضابطه السليقة والطبع، والإحساس المرهف" [٢].

(١) السابق، ص ١٨ ، ١٩.

(٢) د. محمد زغلول سلام: النقد الأدبي الحديث: أصوله واتجاهات رواده، ط١، منشأة المعارف الإسكندرية ١٩٨١م، ص ١٢٥.

المبحث الثالث

شعر الحنين

يمثل شعر الحنين ملمحاً من ملامح الشعر العربى، وهو يكشف عن صدق التجربة الإنسانية حينما توقظها الذكريات الماضية من مراتع الأنس، وأحاديث اللذات، وفيه "نوع من الفرار من الواقع الأليم" (١)، ونلمح شعر الحنين عند بدر بديير فى قصائده التى كتبها فى مطلع شبابه وهو فى "بلاد النوبة"، حيث يحن إلى مراتع الصبا والطفولة، كما يحن إلى استعادة أيام الحب الجميلة مع الحبيبة التى ابتعد عنها. كما نرى شعر الحنين أيضاً فى قصائده التى يحن فيها إلى الماضى العربى الجميل، قبل أن تحيط بنا الهزائم فى عصرنا الذى نعيشه.

فى بداية حياة بدربديير العلمية - بعد تخرجه من الجامعة - عمل فى "بلاد النوبة" ولقد كانت فترة قاسية حيث ترك أسرته، ورفاق الصبا والشباب، وأصبح وحيداً فى هذه البيئة القاسية، التى أرى أنه لم يحبها، ولم يندمج بها.

يتحدث الشاعر عن الفترة التى أمضاها فى بلاد لنوبة وكيف دفعته دفعاً إلى الحنين إلى مراتع الصبا، فى الدلتا، فيقول:

هذه الفترة التى بدأت بها حياتى العلمية فى بداية الستينيات من القرن العشرين، والتى تلت فترة الدراسة الجامعية وما صحبها من آمال، وفترة أداء الخدمة العسكرية وما واكبها من خبرات جديدة.. هذه الفترة الإنتقالية تبدو أمام الذاكرة الآن شيئاً ملفوفاً بالخشونة والغموض معاً، خشونة العيش فى منطقة صحراوية رغم اختراق النيل لصدرها، حيث تحول التلال دون استفادة أهلها من تسخيرة للرى والزراعة.

(١) د. ماهر حسن فهمى: الحنين والغربة فى الشعر العربى الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٠م، ص ١١٨.

ولقد فوجئت عند نزولى لأول مرة من المراكب النيلية إلى القرية التى سأعمل بها، ببيئة تختلف تماماً عن بيئة الدلتا التى نشأت فى إحدى قراها، فالنيل العملاق الجبار تنحدر مياه فيضانه السمراء نحو الشمال فى حرية طاغية، وهو لا يدرى أن السواعد القوية والنفوس الثائرة تدبر له أمر القيد العتيد - السد العالى - هناك عند أسوان، لتحكم حركته الجبارة لأول مرة منذ ملايين السنين، وتسخره باقتدار لصالح الإنسان.

فوجئت بالنيل العملاق يمر سريعاً بالمنطقة النوبية المصرية دون أن يترك فيها أثراً للخضرة، اللهم إلا بعض أشجار النخيل الغارقة فى مياه الفيضان الذى غطى المناطق الطينية من الشاطئين بعد بناء خزان أسوان وتعليته. منظر غريب جدا؛ الماء مصدر الحياة، ولا حياة إلا تلك التى تدب فى عروق جماعات قليلة من كبر السن والأطفال الذين تشبثوا بالوطن الأصلى بعد رحيل عائليهم من الشباب إلى الشمال للعمل وكسب العيش، وإرسال المؤن من الدقيق والزيت والسكر والقماش إليهم على ظهور البواخر النيلية التى تتحرك فى هدوء ساحر بين بلاد النوبة السودانية والنوبة المصرية حتى أسوان.

مجتمع لا يوجد به غير الشيوخ والأطفال والنساء فى قرى مبنية على طابع واحد، تمتد الواحدة منها على شاطىء النيل مسافات كبيرة، بدون عمق فى الصحراء. حياة بسيطة فى بيئة بسيطة، لاأثر فيها لمظاهر التحضر المادى من قطارات أو سيارات على الإطلاق، وتتراوح وسائل المواصلات فيه بين القوارب النيلية ذوات المجاديف وبين الحمير القادرة على تسلق الصخور نهاراً فقط دون الليل، حتى لا تفترسها الضباع المغرمة بلحم الحمير.

لم يكن إرسال التليفزيون قد وصل إلى هناك، وكانت الأغنيات المسموعة هناك تتنوع بين اللهجة السودانية والمصرية، وبعضها بأصوات المغنين النوبين،

وبلغتهم التى لا يعرفها غيرهم، والتى تختلف تماماً عن العربية، والتى قد تختلف فى منطقة نوبية عنها فى غيرها" (١).

ومن الطبيعى أن هذه البيئة تدفعه دفعاً إلى الشعر، حيث ينتقل وجدانيا من خلاله إلى الأجواء التى يحبها، ويحن إليها، ويستحضرها وجدانيا إذا عز عليه إن يحضر إليها. وأول ما يستحضره هو الحبيبة التى فرقها، فهى "منى قلبه وروحه". يقول فى قصيدة "رسالة مع النسيم" التى كتبها لحبيبته عام ١٩٦٢م، مصوراً حنينه إليها، وشوقه إلى لقائها:

يا منى قلبى وروحى إننى	غايتى لقياك، قَرّتْ أعينى
ليتنى أجنى الأمانى ليتنى	بعد ما كان النوى بددها! (٢)

إنه يرى أن لقياه الحبيبة هو ما تتمناه روحه المعذبة فى الغربة، وهو يرى حبيبته "قرة الأعين"، ولم يقل "عينى" فكأنه جعلها متمناة من أنظار الجميع، ولذلك يرى أن الغربة تبدد أمانيه فى إمكان اللقاء بها مرة ثانية!

ويتحدث الشاعر فى حوار معه عن غربته فى "كوم أمبو"، ودورها فى إشعال شعلة الحنين إلى الحبيبة فى شعره، فيقول:

"فى هذه البيئة التى تقل فيها وسائل الترفيه كان لحنين إلى الأهل على بعد ليال طويلة أمراً متوقعاً، وكانت الشكوى من البعاد عن الأحباب متنفساً وحيداً، فكانت بعض القصائد التى تضمنها ديوانى الأول "لن يجف البحر"، مثل

(١) من حوار لم ينشر مع الشاعر – أجراه المؤلف.
(٢) بدر بدير: لن يجف البحر، ص ٣٣.

قصيدة "تعالى"، والتى جاء فيها:

أنا كم أطبقت جفنى على طيفك   يا سوسن [١] فى ليل السكون
وقضيت الليل أشكو للخيال   الحلو آلامى وسهدى وشجونى
ثم يمضى الليل فى صمت حزين   بين آهات بسمعى وأنين
الفراق المر قد عزب قلبى   يا منى قلبى "وأغلى من عيونى"
فبكى من لوعة الفرقة حتى   ذاب يا سوسن فى دمع الحنين [٢]

ونلحظ عده كراهيته الشديدة للمكان الذى أبعه عن محبوبته التى يحن إليها، فى قصيدة "كوم أمبو حين تفرق بين الأحبة". فيصفها بأنها بلاد الهم والأحزان. وربما عانى فيها من وطأة الصيف الشديد الذى لم ير مثله فى الدلتا، والذى يصفه بأنه "جهنم الدنيا". وتكشف الأبيات عن نظرة سوداء للمكان، الذى دفعه دفعاً إلى التشوق إلى مراتع الصبا والطفولة:

كوم النوى والبؤس والأحزان   بئس المقام بها، وفى أسوان
النار فى الأفق المحيط وفى الثرى   والنار فى قلبى الحزين العنى
فجهنم الدنيا هنا مشبوبة   بشواظها المجنون بين دخان
وسماؤها ليل بهيم موحش   وبيرتها مسودة الجدران
وترابها يبدو بقايا موقد   ودروبها مغبرة الأركان [٣]

أما حنين الشاعر بدر بدير إلى الماضى الإسلامى والعربى، فهو حنين جارف إلى ذلك الماضى الزاهر الجميل، الذى كانت فيه الراية الإسلامية ترفرف على

(١) زوجة الشاعر.
(٢) من حوار لم ينشر مع الشاعر بدر بدير، أجراه المؤلف، وقصيدة "تعالى" فى ديوان "لن يجف البحر"، ص ٢٩ فما بعدها.
(٣) بدر بدير: لن يجف البحر، ص ٣٥.

أنحاء الأرض، وهو جزء من الحنين العام إلى عصور القوة والازدهار، بعد أن حاصرتنا الهزائم من كل جانب.

فالماضي يرى فيه الشاعر:

جدائقاً وزهوراً ليس تلحقا يد الذبول، ولا ينتابها العدم [١]

ويحن الشاعر إلى القوة المنتصرة في ماضينا، كما يمثلها صلاح الدين الأيوبي، فيقول له في قصيدة "رسالة إلى حماة القدس":

يا سيد القادة يا صلاح الدين

إذا أردت أن تهب

كي تنقذ سمعة المدينة

وتستعيد مجدها حطين

لا تستعين بواحد منهم

فجيشك العظيم

لن يضم نفعيين هازين خوافين

اختر رجالاً

لا يهمهم ملك ولا مال ولا بنون

ليسوا على الدنيا بمنكبين

ولا على بطونهم بمنكبين

اختر رجالاً يا صلاح الدين مؤمنين

(١) بدر بدير: ألوان من الحب، ص ٥٩.

ويعرفون أن العمر – مهما طال – منته

وأن لحظة عزيزةً

أغلى من السنين! [١]

لقد جعلت الأوضاع السياسية المزرية الشعراء العرب في عصرنا يعودون إلى التاريخ الإسلامي أحداثه وشخصياته "ولم يكن تغنى الشعراء بجيش أسامة وأبي عبيدة وبطولة خالد وطارق وصلاح الدين... إلا انعكاساً لما يضطرب في نفوسهم من رغبات عارمة، وأمان طاغية أيام الاحتلال وبعده في أن يكون لهمك جيش قوى يكون درعاً حصيناً تجاه الطامعين، ومعركة ظافرة تتجلى عن طرد الغزاة المستعمرين" [١].

ويحن الشاعر إلى العدالة التي اقترنت بالقوة في هذا الماضي، وفي قصيدته "دموع على أعتاب الروضة" يكرر الإشارة إلى العدل الذي نشره الإسلام أربع مرات، ويرى أن العدل يداوي جراح الآلام التي يحدثها الظلم، ويحيل الضعف إلى القوة، ويرقى الحياة فتكون جديرة حقا بالحياة! ويرى أن سبيل النصر المؤزر هو تحقيق العدالة، بينما جيوش الظلم مندحرة ومغلوبة، وأن الانتصارات الإسلامية الباهرة التي حققها أجدادنا، وصلوا إليها بعد أن حققوا العدل فيما بينهم، وجعلوا العدل أساس الحكم:

وهدهد العدل آلاما مبرحة	أضحت جراحاتها بالحب تلتئم
فصار لون بلال تاج عزته	وضعفة قوة بالحق تعتصم

(١) السابق، ص ١٢٦، ١٢٧.

(٢) عمر الدقاق: فنون الأدب المعاصر في سوريه، دار الشرق العربي، بيروت د.ت.ص ٣٥٩.

وعـز مـن ذلـه عـمـار مـعـتـمـرا ... وذل مـن عـزه ابـن الـسـؤدد الحـكـم

وأنجب العدل نصراً ساطعاً، وغدا ... جـيـش الـظـلامـة والإظـلام يـنـهـزم

وعـم دنـيـا الـورى عـدل ومـرحـمـة ... للنـاس فى العـسر من إسلامهـم رحم

وسـاد بـالـعـدل دنـيـايـا ونـظـمـهـا ... من لم يكونوا لصحراواتهم حكموا [1]

وإذا كان الشاعر بدر بدير فى الأبيات السابقة يحن إلى عودة قيمة العدل أن تظلل حياتنا، فلا نجد الظلم يضرب أطنابه فيها، فهو فى قصيدة "رثاء قوم" يحن إلى قيمة الحرية التى يحققها القائد المنتمى إلى إسلامه وعروبته، والتى يرى الشاعر أننا نفتقر إليه اليوم. ومن ثم فإنه يقول إنه لا يستطيع أن يقدم العزاء عن الوضع الراهن لأحد:

يا سادتى لمن أقدم العزاء؟

والراحل العظيم ما خلف من ابناء

غير العبيد والخصيان والإماء

فهل يجوز أن يقدم العزاء

لمثل هؤلاء! [2]

لقد شاهد الشاعر قلاع الحرية وهى تسقط وتتهاوى أمام الغزوة الصهيونية والاستعمارية الشرسة للأرض العربية، وعلم أن وراء ذلك غياب القيادة الحكيمة للأمة، ومن ثم فهو يحلم بقيادة شجاعة تعيد أمجادن السابقة، وترد الثعالب المتربصة بن من كل جانب. وإذا كان يسوق ذلك من خلال رثائه لقومه، فإننا نرى إنه يحن إلى القيادة الشجاعة المسؤولة التى تحمى ذمارها، وتدافع عما يجب

(١) السابق، ص ٦٠، ٦١.
(٢) السابق، ص ١٢٩.

الدفاع عنه:

سألت نور الشمس: كيف تسقط القلاع؟

وكيف تستحيل قوة وعزة إلى ضياع؟

وكيف يفتك المتخم بالجياع؟

وكيف تسرق الثعالب الدجاج من مشازف الضياع؟

فقال لي بأن هذا ممكن وجائز

إذا اختفى وغاب القائد الشجاع (١)

وهكذا نرى حنين الشاعر – في غربته – إلى أحبته ومراتع صبه وأيامه الجميلة الخالية، كما نرى حنينه – وسط الهزائم والمصائب التي تلحق بالأمة الإسلامية والعربية – إلى عهود المكنعة والشجاعة، التي يراها في قوة مؤمنة، لا متجبرة ولا مستعمرة، وفي عدالة تظلل الجمي، وفي قيادة رشيدة تضع مصالح الأمة نصب عينيها.

وهو لم يضع قصائده في الحنين صوغاً مبشراً، وإنما نوع في أساليبه من الخطاب إلى القص إلى استخدام الشخصيت التراثية أقنعة لما يريد التعبير عنه، ولم يصرح بحنينه تصريحاً مباشراً وإنما أشار ولمح، "وهذا الأسلوب الذي يعتمد على الإشارة واللمح والإيحاء والحدس ينطوي على متعة، قد لا نجدها بهذا القدر في الأداء المباشر" (٢).

---

(١) السابق، ص ١٢٩.

(٢) د. عمر الدقاق: نقد الشعر القومي، منشورات اتحاد الكتب العرب، دمشق، ص ١٢٨.

المبحث الرابع

شعر الرثاء

يعد الرثاء من الموضوعات البارزة في شعرنا العربي، إذا طالما بكى شعراؤنا من رحلوا عن دنيانا وسبقوهم إلى الدار الآخرة" [١].

وليدويدير أربع قصائد في الرثاء (تشكل نسبة ٤٪ من جملة أشعاره) يرثي فيها والده، وصديقه، وزعيمه الذي أحبه، ووطنه. ويكشف هذا الرثاء عن دخيلة نفس وفية، يعذبها الفراق ولوعته، ويضني قلبه الحزن الكبير كلما فقد من يعزه ويهواه.

وشاعرنا في الثانية والعشرين، مدح والده بقصيدة، فيها إشادة مشوبة بالأعجاب بهذا الأب الراحل الذي كان فرداً في إيمانه، وفي تهجده ليلاً، إذ ينام الناس:

يا أطهر الناس الكرام سريرة	يا سيد الرأي السديد المحكم
من كلما أدمى الزمان حشاشة	يمشي فويق جراحها كالبلسم
لما مدحتك بالقريض أحاط بي	سرب الفضائل كالطيور الحوم
كم ليلة نام الأنام طوالها	تحت الضياء على سرير قائم
وتبيت والأوراد تتلوها تقى	والناس بين معربد ومهموم
فإذا عددنا فضل كل مجاهد	في الدين يوماً كنت أفضل مسلم [٢]

ويبدو أن مقاليد الصياغة الشعرية يوم أن كتب الشاعر قصيدته تلك (عام ١٥٧م) كانت لم تسلم زمامها للشاعر، ولم تستقم له كما ينبغي، فوجدنا الحشو

(١) د. شوقي ضيف: الرثاء، دار المعارف، القاهرة، ص ٥.
(٢) لن يجف البحر، ص ١٤٣.

في الشطر الثاني من البيت الرابع في قوله "تحت الضياء على سرير قائم"، كما نجد المبالغة – غير المقبولة، وغير المبررة – في قوله في البيت الأخير:

فإذا عددنا فضل كل مجاهد   في الدين يوماً كنت أفضل مسلم

لكن الأبيات الأخيرة في هذه القصيدة تكشف عن إكبار الابن لهذا الأب الذي رفع ابنه للعلا والسمو:

ولقد ابنت مناهل العلياء لي   فوردتها، وغنمت أعظم مغنم
ورسمت لي دنيا النجاح فحضتها   ونشأت تلميذاً لخير معلم
أوحيت لي أني خليق بالعلا   فهويتها، وعشقت عشق متيم
فإذا علوت ففي سمائك منزلي   وإذا ذكرت فأنت سفر معالي [1]

وكان والده قد طلب منه أن يلقي هذه القصيدة في سرادق العزاء، بعد رحيله. ولكن الأب حينما رحل عن دنيانا بعد عدة أعوام عاد الشاعر إلى كتابة قصيدة عنه بعنوان "يا زارع الآه" أكثر اكتمالاً وجودة، يقول في مطلعها:

يا زراع الآه في قلبي إلى الأبد   حرقته وتركت النار في كبدي
ليست دموعي دموعاً يا أبي أبداً   ولا عصارة قلب جد متقد
لكنها العمر والآمال أسكبها   على التراب وأفنى فوقها جسدي [2]

وفي المقطع الثاني يقول الشاعر إن رحيل والده حبب إليه التراب الطاهر الذي ضمه – وهي صورة تقليدية في الشعر العربي – ثم يصف مكانة الأب في نفس ابنه في عدة صور جزئية ترينا أي أب كان!

حببت لثم التراب إلى ثغري. ألست أنا   وسدت فيه جبينك طاهراً بيدي
حببت لي من دخول القبر، أين به   يلم همي ويشفي حرقة الكبد

(١) السابق، ص ١٤٣.
(٢) لن يجف البحر، ص ١٤٩.

سقيتني بيديك الشهد مبتسماً   ورحت عنى فغاض الكأس بالكند

قد كنا روحي، وراحت، فانتهى أملى   وكنت عقلى ونوراً عاش فى خلدى [(١)]

ورغم الخلل العروضى – فى الشطر الأول حيث قال "وسدت فيه جبينك"، ولو قال "وسدت فيه جبيناً" لاستقام الوزن – رغم هذا الخلل، فإن الأبيات تشف عن عاطفة صادقة نحو الأب الذى كان لابنه بمثابة الروح والجسد.

وفى نهاية القصيدة يرى شاعرنا أن لا حياة له بعد أبيه:

لبيك لبيك قد اتى إليك غداً   وإن تأخر يومى جئت بعد غد [(٢)]

ويرثى شاعرنا صديقه فكرى فايد (وكيل وزرة الشباب والرياضة بالشرقية) فى قصيدة بعنوان "اهنأ بقرب الله" نلمس فيها صدق العاطفة فى التعبير عن الراحل الفقيد:

كالصبح فى فصل الربيع عرفت بسمته الجميلة

مثل الندى فى رقة يحنو على زهر الخميلة

مثل الأصيل إذا صفا كانت موافقه الأصيلة

رجل وكم عزت بهذا الوقت فى الدنيا الرجولة

جملت به هذى الحياة وقلما وجدت مثيلة

لكن أيام الفتى فى هذه الدنيا قليلة [(٣)]

فهو قد عرف بسمته المضيئة التى تشبه صباحاً مضيأً أشرقت شمسه فى فصل الربيع ذى النسمات العطرة، وهو محب لأصدقائه يحنو عليهم فى ود وفى

---

(١) السابق، ص ١٤٩.

(٢) السابق، ص ١٥٠.

(٣) ألوان من الحب، ص ١٧٢.

حبور، وله مواقفه الأصيلة والشجاعة في الحياة التي جمل بها الدنيا. وعزاء الشاعر - بعد رحيل صديقه -أن حياة الفتى في هذه الحياة محدودة.

لقد كان يعيش حياته - حتى جاءه قضاء الله - كما ينبغي أن تعيش الحياة في سموق، وفي عظمة، وقد ترك للأحباب ذكرى جميلة يعيشون على محبتها:

ومضيت يا فكري كأنسام مبللة عليلة

أنهيت رحلتك السريعة في مهمتك الجليلة

وتـركـت لـلأحـبـاب ذكـراك المـعـطـرة

...

وإذا قضاء الله حل فما لنا في الأمر حيلة (١)

ومن دائرة الأهل والأصدقاء يخرج إلى دائرة رثاء الزعماء الوطنيين الذين أحبهم وارتبط بهم، ومنهم الزعيم **جمال عبد الناصر**، الذي رحل عن عالمنا عام ١٩٧٠م، بينما كان الشاعر رفقتها معاراً إلى ليبيا، فرثاه بدموع حارة في قصيدة عنوانها "لن يجف البحر"، جعلها عنواناً لديوانه الأول، الذي أصدره بعد ثلاثة وعشرين عاماً من رحيل عبد الناصر.

وقد مات **عبد الناصر** وجزء من بلاده تحت نير الاستعمار الإسرائيلي، ومن ثم يأتي الرفض لفكرة الموت في القصيدة، التي تعني نهاية النضال وتكريس الاحتلال، ومن ثم فإنه يرى أن الأفكار التي دعا لها زعيم ستستمر، ولن تموت:

يا نجوم الليل لا..ما مات رغم الموت ناصر

إنه في الأفق ند البدر.. ند الشمس طاهر

إنه ملء قلوب وعقول ونواظـــــــــر (٢)

(١) السابق، ص ١٧٣. (٢) لن يجف البحر، ص ٤٢.

إنه يرى موت عبد الناصر كالزلزال الذى أصاب الأمة العربية، ولكن هذا الزلزال العاتى لن يقضى على إرادة الأمة فى الصمود والمقاومة، والرغبة فى التحرر، ومجابهة الاحتلال:

ليس مشتاً من يبث الروح فى أنقاض أمة

ليس مشتاً مطلع فجر الليالى المدلهمة

لن يجف البحر..لن تهد بالزلزال قمة[1]

ويتألم الشاعر ألماً كثيراً لما تمر به الأمة الربية من أحداث حيث تتكالب عليها قوى الاستعمار، وهو يأسى إذ يرى العرب لا يتجمعون فى وحدة تضم قاصيهم إلى دانيهم، وتجعلهم قوة يخشى بأسها. يقول فى قصيدة بعنوان "رثاء قوم":

يا سادتى.. لمن أقدم العزاء؟

والراحل العظيم ما خلف من زيناء

غير العبيد والخصيان والإماء

فهل يقدم العزاء

لمثل هؤلاء؟ [2]

والقصيدة فيها رثاء مر لقومه الذين كانوا ذات يوم سادة الدنيا وقادتها، ولكنهم تفرقوا واندحروا فى ميادين الجهاد والنضال، فأصبحوا لا يستحقون الرثاء.

---

(١) السابق، ص ٤٢.

(٢) ألوان من الحب، ص ١٢٩.

وواضح عند بدربدير ارتباط مفهوم العروبة بالإسلام، فهو حينما يتحدث عن القومية العربية، فإنما يتحدث عن الإسلام والمسلمين؛ وهو بذلك لا يختلف عن الجماهير العربية. يقول الدكتور عمر الدقاق: "ارتبط مفهومي العروبة والإسلام في أذهان جماهير العرب وغالبيتها المسلمة؛ لكون محمد - ﷺ - عربيا، وكتاب المسلمين المقدس "القرآن" إنما أنزل بلسان العرب، وأن الذين حملوا راية الإسلام، وانطلقوا بها في مضمار الدعوة وبناء الحضارة هم أبناء الأمة العربية"[1] .

ورغم أن قصائد الرثاء قليلة في شعر بدربدير إلا أنها تكشف عن عاطفة محبة صادقة، تجعلنا في النهاية نقول كما قال خليل هنداوي: "إن شعر المراثي كثير في الأدب العربي، ولكن ما أقل الذين وقفوا منه موقفاً عاطفيا مثيراً"[2] .

---

(١) د. عمر الدقاق: مواكب الأدب العربي عبر العصور، ط١، مطبعة طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٨٨م، ص ٢١٨ (بتصرف).

(٢) خليل هنداوي: شعراء رثوا زوجاتهم، مجلة "العربي"، العدد (٢ - ١)، مايو ١٩٦٧م، ص ٦٣.

المبحث الخامس

شعر الإخوانيات

وصف بدربدير بأنه شخص متكيف مع مجتمعه، ويعني علم النفس بالتكيف القدرة على العيش والعمل بلباقة، وتلبية الحاجات، واكتساب الصداقات مع محيطه [١]، ومن ثم فهو يعيش حياة خصبة بالصداقة مليئة بحبه الأصدقاء وحبهم له، وهو يأنس بهؤلاء الأصدقاء، ويزورهم ويزورونه، ويشاركهم أفراحهم وأحزانهم، ويكتب في ذلك شعراً يعرفه الأدب بعنوان "الرسائل الإخوانية"، و "الرسائل الإخوانية" كما يقول "المعجم المفصل في الأدب": "تناول موضوعاً أدبيا يكتبه صديق لصديقه شعراً أو نثراً، أو يتضمن لغزاً أو حلا لمعضلة علمية معينة، أو اعتذاراً عن تقصير، أو عتاباً عن تأخير، وقد تكون في مديح أو رثاء أو ثناء على صفاته وأخلاقه" [٢]. وإن اقتصرت الكتابة بين الأصدقاء على الشعر وحده فهي "الرسالة الشعرية"، و "هي نوع من "الرسائل الإخوانية"، ولكن خصيت بالشعر، يكتبها الشاعر لصديقه إما للتحية أو للنقد أو للتعليق على قضية" [٣].

ويمكن إدراج شعر الإخوانيات عند بدربدير في الأطر التالية:

أ- التهاني:

تحتل قصائد ثلاث قصائد في ديواني "لن يجف البحر" و "ألوان من

(١) انظر: دحام الكيال: دراسات في علم النفس، ط٢، مؤسسة الأنوار، الرياض ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م، ص ١١٢، ١١٣.

(٢) محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ج٢، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣ هـ- ١٩٩٣م، ص ٢٥٢.

(٣) السابق، ص ٤٧٩.

الحب"، فنجد فى الديوان الأول قصيدتين، هما: "لعينى أول حفيدة" و "عودة الحبيب"، ونجد فى الديوان الثانى قصيدة واحدة هى "يا نور عينى".

فيهنىء فى قصيدة "يا نور عينى" ابنته بمولودها الجديد، ويدعو لها بأن يحفظها الله:

يا نور عينى يا سحر	ويا عبيراً للزهر
يا بسمة الصبح ويا	ضوءاً رفيقاً للقمر
ويا ملاكاً طاهراً	جاء على رسم البشر
يا نعمة الله لقلـ	ـب طالما كان انتظر
لما بدا نورك فى	سمائنا، السعد ظهر
فلتسعدى وطفلك الـ	ـغالى الحبيب المنتظر
ولتسلمى والزوج والـ	أطفال لى من كل شر [١]

ب- الرسائل الشعرية:

ونجده فيها يبث أصدقاءه لواعجه وحزنه، أو يصور فيها مشاعره تجاه قضية تشغله، أو مشاعر تتأجج فى صدره، ومن هذه الرسائل قصيدته "رسالة إلى الشاعر نزارقبانى فى غرفة الإنعاش"، ويبدو أن شاعرنا كان معجباً باتجاه نزار إلى جلد الذات العربية بعد هزيمة ١٩٦٧م، بقدر ما كان معجباً به فى قصائده الغزلة، يقول فى المقطع السادس من إسالته:

من أين تأتى النسمة الرقيقة

لليلة الصيفية؟

(١) السابق، ص ٥٣.

٦٠٣

والقفزة الخفيفة الرشيقة

للظبية البرية؟

وصهلة الجواد للإباء والحرية؟

من أين تأتى للضحى قوافل الأنوار؟

من أين تأتى غضبة الأمواج فى البحار؟

وقد خبا صوتك يا نزار

يا أيها الإعصار! [١]

ومن هذه الرسائل قصيدته "يا صاحبى"، التى يرد فيها على صديقه حسين على محمد، ويبثه فيها أحزانه ومواجعه؛ فحينما بلغ الشاعر بدر بدير سن التقاعد فى أواخر عام ١٩٩٤م، وكتب له حسين على محمد قصيدة بعنوان " أنت الشعر"، يقول فيها:

قد آن للشاعر المشتاق تغريد ... وحان للنغم المقموع ترديد

وافرحتاه لنسر ظل محتبساً ... وصنوة فى سماء الشرق غريد

قد كسر القيد لا عادت سلاسلة ... وعانق الأفق من فى الشعر محسود

ما جف بحرك يا من ظل مورده ... عذباً، وغنت له الغيد الأماليد

كم كنت أحبس آهات يفيض بها ... صدر بحبك مفتون ومفؤود

إذ أنت فى الأسر تبكى كل شاردة ... يقصيك عنها العضاريط الرعاديد

وتكتم النغم العذب الذى فتنت ... بسحر ألحانه هذى الأغاريد

لئن بعدنا فلم نسعد لمحلفكم ... ولم نشارك لبيد دونها بيد

(١) ألوان من الحب، ص ١٤٥.

فإن هذا بياني لن يزاحمه ... حنب لشعرك.. أنت الآن مولود

عيد خروجك للآفاق تيمها ... حب لشعرك.. أنت الآن مولود

غرد بشعرك في الدنيا يردده ... هذا الزمان، فأنت الشعر والعود [(١)]

وكان حسين لي محمد قد أرسل له رسالته الشعرية من الرياض حيث يعمل، فرد بدربدير عليه بقصيدة "يا صاحبي"، يقول فيها:

ماذا يفيد على الأيام تغريد ... والدوح أغرية تحتله سود

والروض مهجورة أفنانه وعلى ... ضفافه الضفدع المغرور والدود

لمن أغني وصوتي في تفرده ... بين النقيق وبين النوح مفقود

وجوقة الشعر في أيامنا مسخت ... أنغامه فقضى المزمار والعود [(٢)]

وواضح في رسالته أنه يشكو من أنه لا يستطيع التغريد في هذا الجو الذي يمتلىء بنقيق الضفادع! ولعله يقصد الشعارير الذين لا يستطيعون أن يكتبوا الشعر الذي يريد!

ومن هذه الرسائل قصيدته "رسالة إلى حماة القدس"، وهي رسالة وجدانية غاضبة، تكشف عن نفس محبة لهذه المدينة اللصقية بوجدان كل مسلم، والتي احتلها "يهود" وعاثوا فيها فساداً، ويزعمون أنها ستظل عاصمتهم الأبدية، ولن تعود للمسلمين. والقصيدة ترفض هذا الواقع المرذول الذي يحاصرنا، ولكنها تستمر يد جلد الذات، وهي نوع من أنواع الهجء القومي، يقول فيها:

يا أيها الذين نصف مال العصر يملكون

(١) د. حسين علي محمد: غناء الأشياء، دار الفارس العربي، الزقازيق، ١٩٩٧م، ص ٣٢، ٣٣. وأعاد بدر بدير نشرها في ديوانه "ألوان من الحب"، ص ص ٧٧- ٧٩.

(٢) ألوان من الحب، ص ٨٠.

٦ - ٥

ويخسرون كل يوم يخسرون

ويأكلون، يشربون، يسهرون

لكنهم لا يفعلون أي شيء

غير أنهم يضيعون

مدينة القدس..

التي تبكي، وتبكي مثلنا بلا عيون

ولن يعيدها البكاء للخريطة القديمة

حتى لو استمر نوحنا قرون [١]

ويوجه في المقطع السابع من هذه القصيدة رسالة إلى صلاح الدين الأيوبي، يقول فيها:

يا سيد القادة يا صلاح الدين

إذا أردت أن تهب

كي تنقذ سمعة هذه المدينة

وتستعيد مجدها حطين

فجيشك العظيم

لن يضم نفعيين تهازين خوافين

اختر رجالاً

لا يهمهم ملك ولا مال ولا بنون

(١) السابق، ص ١٢٥.

ليسوا على الدنيا منكبين

ولا على بطونهم منكبين

اختر رجالاً يا صلاح الدين مؤمنين

ويعرفون أن العمر – مهما طال – منتهٍ

وأن لحظة عزيزة

أغلى من السنين! [١]

و "طبيعي أن الشاعر حين يستخدم شخصية تراثية فإنه لا يستخدم من ملامحها إلا ما يتلاءم وطبيعة التجربة التي تريد التعبير عنها من خلال هذه الشخصية" [٢]، فبدر بدير في القصيدة السابقة يوجه رسالة إلى حماة القدس، ومعروف أن **صلاح الدين الأيوبي** حررها من نير الصليبين بعد احتلال قرب قرناً من الزمان. ومن ثم فهو يحلم بصلاح، الدين آخر يجيء ليحرر القدس من "يهود"، لكنه يشير إلى صلاح الدين القادم إن يبحث عن جنود يستعين بهم – بعد الله – على تحرير القدس، وهؤلاء الجنود الذين سيساعدون صلاحاً الجديد في تحرير القدس، ليسوا منكبين على الدنيا، ولن يتملكهم حبهم المال أو البنين، ولن تستبد بهم شهواتهم فتحرمهم شرف الجهاد في سبيل الله، حتى ينالوا شرف تحرير مسرى رسول الله ﷺ وثالث الحرمين.

وفي قصيدة بعنوان "رسالة إلى اليوم الكئيب" [٣]، نراه يرثي الحاضر العربي المليء بالهزائم، فنحن أمة كثيرة أحزانها، قد نسيت معنى الفرح، وما عاد يضنيها الألم، لأنها تعودت عليه، ونراه فيها ناقماً على الواقع الشرس الذي

(١) السابق، ص ١٢٦، ١٢٧.

(٢) د. علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ط١، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس – ليبيا، ١٩٧٨م، ص ٢٤٠.

(٣) بدر بدير: لن يجف البحر، صص ١١٦ – ١٢٠.

يضرب الأمثلى بغداد، وعمان، والقاهرة، والقدس، وطرابلس، والكويت (وكأنه يرمز بهذه العواصم إلى أن مأساة الأمة العربية عامة، وتحيط بنا جميعا.

ويخاطب الأرض العربية التي تحتضن جثثنا الممزقة، والمطعونة بالحرب دائماً، خطاباً حزيناً مؤلماً:

لا تسترى عوراتنا

ولا تكونى لمثلنا

بل الفظينا كالنواة قرفاً من عارنا

لا تطمعى الأحياء منا لقمة

ولا يرو نهرك الظماء!

لا تبنى يا أرضنا الزهورا

فليس بين قومنا من يعشق الزهورا

وحرضى الشوك على أقدامنا

لتشخب الدماء

لا تسترى ببطنك الأموتا

لا نستحق نحن أن تحمل أو نستر أو نعيشا [1]

ولكن الأبيات رسالته إلى اليوم الكئيب - رغم حزنها - تنتهى نهاية آملة:

ترى غدا يجىء يمسح الدموعا

يصير فيه أمرنا لشعبنا جميعاً؟

وترحل الغربان عن ربوعنا

(١) السابق، ص ١١٨.

وتبسم الزهور فى ربانا

وتنشد البلابل؟

ولا تعود ابداً يا يومنا الكئيبا؟

نرجوك لا تعد [١]

وهكذا كانت رسائل الشاعر الشعرية تحمل ذوباً من مشاعره تجاه أصدقائه ومحبيه، وتكشف عما يعذب وجدانه فى الظروف السياسية التى تمر بها أمتنا.

ج- المداعبات:

وهى تلك القصائد التى يداعب فيها أصدقائه مداعبة ساخرة، ومن هذه القصائد قصيدة "سيارة صديق" التى يوجهها إلى صديقه الطبيب الأزهرى الداعية محمد أمين، حيث يقول له فى هذه الرسالة إنه لن يركب سيارته مرة ثانية لأنها سيارة متهالكة لا تستقر على حال، وتمشى وكأنها مخمورة على الطريق:

تبت، أقلعت عن ركوب المهالك ... يا أمين وإن أكن فى جوارك

مركب صوتها زفير شخير ... حشرجات فى صدرها المتهالك

أن من زحفها الطريق وتاهت ... خطوات لها هنا وهنالك

وكأن البنزين فى التنك خمر ... دوختها على شعاب المسالك

فى يمين طوراً وطوراً ... فى شمال وتارة بين ذلك [٢]

ومن هذه المداعبات قصيدة "مداعبة صديقى الطالب المغترب، ويمكن اعتبارها من "الشعر الحلمنتيشى" (وهو ذلك الشعر الفصيح، الذى يسير على

(١) السابق، ص ١٢٠.

(٢) السابق، ص ٢٢.

أوزان الخليل، وتتخلله بعض الألفاظ القليلة من العامية)، فيقول له إنه لن ينسى تلك الأيام التى أمضياها معاً، ويذكر ما تخلل تلك الأيام من جوع وإملاق، وتقع القصيدة فى أحد عشر بيتاً، نكتفى بالأبيات السبعة الأولى منها:

إذا نسيت فإنى لست بالناسى ... أيام فقر وإقلال وإفلاس

أيام أقرضك المليم معتذراً ... ويصرخ السوس جوعاً بين أضراسى

أيام "تقفشنى" [1] ظهراً وقد نثرت ... أقراص طعمية عجفى "بقرطاس"

أو بعض حبات أرز كدت تحسبها ... من لوعة الشوق حبات من الماس

تميل نحوى، ولكن بعد نحنحة ... وحك رست، وقبلات على الراس

فتنسف الأكل نسفاً، ثم تتركنى ... وقد سلبت لقيماتى وأفلاسى [2]

وهاتان القصيدتان هما ما نشرها فى ديوانيه المطبوعين، ولعل له قصائد أخرى سينشرها فى دواوينه القادمة. وهاتان القصيدتان تكشفان عن قدرة على الدعابة، يمتلكها الشاعر، ويحسن توظيفها فنيا فى شعره.

د- الوداعيات:

وهى تلك القصائد التى قيلت فى وداع صديق إثر سفره، كتلك القصيدة التى تحمل عنوان "وداع صديق"، والتى أهداها "إلى الصديق الشاعر الأديب الدكتور **حسين على محمد** فى إحدى سفراته العلمية"، يقول فيها:

أيها السارى على متن السحاب ... حفظ الله سراكا.. ورعاكا

إن نكن فى وحشة تتركنا ... عش مع البهجة والأنس هناكا

(١) أى تضبطنى.
(٢) نقودى القليلة.

ثم عـد يـومـاً إلـيـنـا غـانمـاً	لأننـا نحـيـا عـلـى حـلـم لـقـاكـا
واقـسـم الأيـام بـالـعـدل عـلـى	كـل من عـاش عـلـى فـضـل نـداكـا
إنـنـى أغـبـط مـن جـمـعـتـهـم	فى رياض العلم يجنون جناكا [١]

إنه يطلب من صديقه ألا يبتعد عنه، وألا ينساه فى غربته، ويدعو له فى نهاية القصيدة بأن يحفظه الله فى غربته:

لا تـطـل بـعـدك عـن آفـاقـنـا	كلما سافرت.. لا تنس أخاكا
بـارك الـلـه لـيـالـيـك وأتـرع	أيامك حبا ووقاكـــــــــا [٢]

---

(١) ألوان من الحب، ص ١٧٠.

الخاتمة

بدربدير واحد من شعرائنا المعاصرين الذين لم يظفروا بدراسة نقدية فى فنون شعرهم المختلفة، ورغم أنه أصدر ديوانين، فلم تكتب عن شعره - وبخاصة ديوانه الأول - إلا مقالات قليلة، تعد على أصابع اليد الواحدة.

وقد اخترنا فى هذه الدراسة أن ندرس "الاتجاه الوجدانى فى شعر بدر بدير" لأنه أبرز اتجاهات شعره، وتكاد أشعاره جميعا تكون فى هذ الاتجاه، ماعدا قصائد قليلة تتناول الجانبين السياسى والاجتماعى، ولا تشكل أكثر من عشر قصائده المنشورة فى ديوانيه الأول والثانى.

وقد عرفنا فى الدراسة أن الشاعر درس اللغة العربية فى جامعة القاهرة، وقد أفاد من هذه الدراسة المنهجية المنظمة فى إثراء موهبته وتغذية ملكته؛ فقد يسرت له هذه الدراسة الاطلاع المنظم على الأدب العربى - شعراً ونثراً - خلال عصوره المختلفة، كما أطلعته على نزعات التجديد فيه، ومن خلال هذه الدراسة تعرف على فحول الشعر العربى على امتداد تاريخه.

ومن أهم المحاور التى يتناولها بدربدير فى شعره: شعر الحب، ونقصد به الشعر الوجدانى، الذى يعبر عن عاطفة الشاعر تجاه مواقف ذاتية تعرض لها، ويكشف عن نبل عاطفته وسموها، وهذا ما نلحظه على جل شعر الشاعر، بل فى حياته السمحة المحبة العطوف.

ويحتل شعر الغزل نسبة فى شعر بدربدير، تفوق أى غرض آخر من أغراض الشعر عنده.

وأغلب قصائد الحب عنده تقع فى دائرة الحب فى شعر العربى حيث "تتأرجح بين التوق إلى امتلاك الحبيبة والتوسل إليها، وبين الحزن والبكاء الناتج

عن فقدان المرأة، وهذه الموضوعات تبدو امتداداً ولموضوعات الشعراء الرومانسيين العرب، لكنه تغزل بالزوجة. وشعره الغزلي الذى كتبه فى زوجته، يلتفت فيه إلى عواطف نحوه، ويرسم صورة فنية لما عليه من عقل، وما وراء جمالها من ذكاء، وما بين حناياها من هم، أو أمل، أو مثل، وهى صورة جديدة فى الشعر العربى على امتداد تاريخه.

وقد تناول الطبيعة فى معظم قصائده تناولاً يظهرها ممتزجة بروحه ووجدانه، ولا عجب فى ذلك؛ فقد أحب الطبيعة الثرية بالجمال، حيث نشأ فى قرية خضراء وارفة الظلال من قرى شرق الدلتا بمصر، تكسو الأرض الزروع اليانعة طوال العام، ويتدفق الماء فى المجارى المتفرعة من النيل، وترتفع هنا وهناك الأشجار الظليلة التى تمنح الريف جمالاً طبيعياً غير مجلوب. وهذا ما انعكس على شاعرية بدر بدير، حيث نراه مولعاً بالطبيعة، ولا نكاد نبصر قصيدة له تخلو من مفرادات الطبيعة، بل نراه يقول إنه قسم عواطفه بين جمال الطبيعة (المتمثل فى زهر الروض) وشعره.

ومن الواضح فى شعره أن الطبيعة جزء من تجربة الشاعر، ومفردة أصيلة من مفردات قصائده لا يمكن الاستغناء عنها، وهى لم تأت لتلوين اللوحة الشعرية، بل هى مكون من مكوناتها.

أما الحنين عنده فيتمثل فى بعض قصائده المبكرة وهو فى "بلاد النوبة"، حيث يحن إلى مراتع الصبا والطفولة، كما يحن إلى استعادة أيام الحب الجميلة مع الحبيبة التى ابتعد عنها. كما نرى شعر الحنين أيضاً الأخيرة التى يحن فيها إلى الماضى العربى الجميل، وقيمة العالية (مثل العدالة والحرية)، لعله يهرب إليه من الواقع الشرس الذى يحاصرنا، ومن الهزائم التى تعانى من وطأتها فى عصرنا الذى نعيشه.

وقصائد الشاعر في الرثاء لا تشكل نسبة عالية في شعره، فهي قصائد معدودة، يرثي فيها والده، وصديقه، وزعيمه الذي أحبه، ووطنه. ويكشف هذا الرثاء عن دخيلة نفس وفية، يعذبها الفراق ولوعته، ويضني قلبه الحزن الكبير كلما فقد من يعزه ويهواه.

وشعر الإخوانيات عنده رغم أنه يقع في الدائرة التقليدية لشعر الإخوانيات (التهاني، والرسائل الشعرية، والمداعبات)، فإنه حمله القيم والمضامين السامية، التي يحملها سائر شعره.

وقد تعرفنا من خلال هذا البحث على شاعر جدير بالقراءة والدرس.

وصلى الله على محمد.

المصادر والمراجع

أ- المصادر:

بدريديب: (1)

١- لن يجف البحر، ط٢، أصوات معاصرة، الزقازيق ١٩٩٨م. (الطبعة الأولى ١٩٩٣)

٢- ألوان من الحب، أصوات معاصرة، ط١، الإسكندرية ١٩٩٩م.

ب- المراجع:

د. إحسان عباس:

٣- اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ط٢، دار الشرق، بيروت ١٩٩٢م

٤- بدر شاكر السياب، دار الثقافة، بيروت ١٩٧٢م.

د. أحمد الحوفي:

٥- أدب السياسة في العصر الأموي، دار القلم، بيروت، د.ت.

إيليا الحاوي:

٦- فن الوصف وتطوره في الشعر العربي، ط٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٨٧م.

د. بكري شيخ أمين:

٧- الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، ط٢، دار صادر، بيروت ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م.

د. بهيج محمد القنطار:

٨- الطبيعتان الحية والصامتة في الشعر الجاهلي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ١٩٨٦م.

(١) رتبنا ديواني الشاعر ترتيباً تاريخياً.

د. حسين على محمد:

٩- غناء الأشياء، أصوات معاصرة، دار الفارس، الزقازيق، ١٩٩٧م.

د. حمد بن ناصر الدخيل:

١٠- في الأدب السعودي: مقالات وبحوث، ط١، نادي جازان الأدبي، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

د حام الكيال:

١١- دراسات في علم النفس، ط٢، مؤسسة الأنوار، الرياض ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

د. شوقي ضيف:

١٢- الرثاء، در المعارف، القاهرة، د.ت.

د. عبد الحكيم بليع:

١٣- حركة التجدي الشعرى في المهجر بين النظرية والتطبيق، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٠م.

عبد الرحمن حسن حنبكه الميداني:

١٤- البلاغة العربية: أسسها، وعلومها، وفنونها، ط١، دار القلم، دمشق ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

د. عبد القادر القط:

١٥- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، ط٢، دار النهضة العربية، بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

د. عبد المحسن طه بدر:

١٦- التطور والتجديد في الشعر المصرى الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩١م.

١٧- حركة التجديد فى الأدب العربى (بالاشتراك)، ط١، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٥م.

د. على عشرى زايد:

١٨- استدعاء الشخصيات التراثية فى الشعر العربى المعاصر، ط١، الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس - ليبيا، ١٩٧٨م.

د. على على مصطفى صبح:

١٩- من الأدب الحديث، ط١، دار المريخ ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

د. عمر الدقاق:

٢٠- فنون الأدب المعاصر فى سورية، دار الشرق العربى، بيروت د.ت.

٢١- مواكب الأدب العربى عبر العصور،ط١، مطبعة طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ١٩٨٨م.

٢٢- نقد الشعر القومى، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق.

د. ماهر حسن فهمى:

٢٣- الحنين والغربة فى الشعر العربى الحديث، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة ١٩٧٠م.

د. محسن أطيمش:

٢٤- دير الملاك: دراسة نقدية للظواهر الفنية فى الشعر العراقى المعاصر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٢م.

د. محمد التونجى:

٢٥- المعجم المفصل فى الأدب، ج٢، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م. ص ٣٥٢.

د. محمد زغلول سلام:

٢٦- النقد الأدبي الحديث: أصوله واتجاهات رواده، ط١، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٨١م.

ج- مقالات في دوريات:

حسن كامل الصيرفي:

٢٧- الحزن، أسباب شيوعه في أشعارنا وأغانينا، مجلة "المجلة"، العدد التاسع، سبتمبر ١٩٥٧م.

خليل هنداوي:

٢٨- شعراء رثوا زوجاتهم، مجلة "العربي"، العدد (١٠٢)، مايو ١٩٦٧م.

د. عبده زايد:

٢٩- قراءة في ملحق إبداع الماضي: المذموم هو الابتذال، المسائية في ١٩٩٣/١٢/٧م.

محمد منور:

٣٠- قراءة في ملحق إبداع الماضي، المسائية، في ٣٠/١١/ ١٩٩٣م.

د. مخطوطات:

د. حسين علي محمد:

٣٣- من تجاربهم: حوار لم ينشر مع بدر بدير.